

الإعلام ولفته الحضرية

الإستاذ عبد العزيز سرف
القاهرة

المقدمة

قدم كتاب « الإعلام » الى اللجنة القى شكلتها حكومة الكويت لمدارسية الكتب والموضوعات بصدد المسابقة ألقى اعلان عنها مكتب تنسيق التصريب في الوطن العربي ، وقد فاز بالدرجة الثانية وحصل على مكافأة مالية قدرها خمس مائة دولار . وفيما يلي تقرير اللجنة حول هذا الكتاب .

المصطلحات 900 مصطلح تقريبا .
وهو بهذا يريد بثها واذاعتها ، حتى تؤدي رسالتها الاعلامية .

هدف الكتاب : يهدف الى تكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعي السياسى والفكرى للامة العربية ، وتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة واذاعة الكتاب لتكون ذات سلطان في التعبير الجماهيرى ، كما يحاول ان يكشف عن مزايا التعبير في لغة الضاد ، مدلا على انها اهل لان تكون في الصف الاول للغة الاعلام . وهو في ثانيا بحثه يقوم بدراسة مقارنة ، عميقة ، نفسية ، اجتماعية ، لغوية ، كما يعقد موازنة بين اللغة العربية واللغات الاوربية موضحا خصائصها بالتحليل الدقيق والاستقصاء ، والاستناد الى آراء شرقية وغربية ، ثم ينتهى من كل اولئك الى انها « تتميز بالايجاز ، والموضوع ، والنفاذ المباشر ، والتأكيد ، والاصالة ، والجلء ، والاختصار والصحة » .

يقع الكتاب في 247 صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من ثلاثة ابواب ، اشتملت على تسعة فصول ، وخاتمة ، هي « الاعلام ومستقبل الفصحى » .
اما فصوله فهي تلقى الضوء على محتوياته ومنهجه ، ويبينها :

اللغة وتكوين الرأى العام - اللغة والاتصال
بالجماهير - اللغة في ضوء البحث الاعلامى - اللغة الاعلامية - الاعلام واللغة المشتركة - لغة التعبير الاعلامى - الاعلام والتنمية اللغوية - لغة الصحافة - لغة الاذاعة المسبوعة والمرئية .

ثم انتهى بمعجم ذى شطرين : 1 - مصطلحات مولدة شائعة في الاوساط الكتابية من صحف وسواها .

ب - مصطلحات مولدة في المعاجم الحديثة .

ويتبع هذا المعجم في ثلاث وعشرين صفحة ، تضم الصفحة الواحدة اربعين مصطلحا ، وبذلك تبلغ

بعض المآخذ :

من المآخذ الفنية :

- 1 - في صفحة 83 . كتبت الآيات الكريمة محرفة .
- فتولى فرعون .. كيده ثم اتى .. والصحة :
« فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى » .
- ب - انها نعوا كيدا ساهرا ولا يفلح الساحر
حيث اتى . والصحة : « انما صنعوا كيد ساحر .. »
- 2 - في صفحة 99 ورد هذا البيت منسوباً الى زهير
ابن ابي سلمى :
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم ييسق الا صورة اللحم والدم
ويرى اكثر الرواة على انه ليس له .

- 3 - التناقض : بينا يقول في صفحة 219 في حديثه عن
سمات اللغة الاعلامية ...

(ثانياً - تجنب التكرار والاطناب والتكرار من
عناصر التشويش في استقبال الرسالة الازاعية ..)
بينما يقول هذا اذا هو يقول في ص 221 :
سابعاً - ان التكرار من سمات اللغة الاعلامية ،
وهو من الزم الخصائص في لغة الازاعة ذلك انه

ليس في وسع المستمع ان يعود الى مراجعة
الكلام ، كما يستطيع ذلك في الجريدة ...
اما المآخذ الاملائية ، فكثيرة ، والذي يبدو لنا ان
هذا البحث لم يراجع بعد طبعه « وقد تركنا في
كثير من الصفحات ما ينبه على ذلك » .

4 - من المآخذ الفنية : في صفحة 135 حين الحديث
عن اهم سمات اللغة العربية الاعلامية يقول :
« ان اللغة الاعلامية تؤثر استخدام الكلمة
البيسطة الصحيحة المألوفة ، على كل ما عداها .
فسافر بدلا من ظعن ، وحريق بدلا من اتون ... »
وفي هذا امارة لكلمات ليست من الصعوبة كما
يرى ، فضلا عن ان كثيرا مما يقاس عليه على
حسب نظرتي و ارد بالقرآن الكريم ، سهل التداول ،
ولا ينقصه الا كثرة الدوران في الكلام الاعلامي ،
فمثلا كلمة .. شجب وقد كثر دورانها في الحديث
الاعلامي ولا سند لها مع ان كلمة « نحض »
اسهل منها ، وكلمة « ركض » تتخذ في الكويت
هنا مكان اسرع ، فالمعبرة بتداول الكلمة .
والكتاب بصفة عامة صالح في مجاله كل
الصلاحية كما انه جدير بالنشر وصاحبه يستحق
الجائزة الثانية .



الإعلام ولفظة المحاضرة

يشهد عالم اليوم اهتماماً متزايداً بالاعلام ووسائله، وإيماناً صادقا برسائله وأهدافه، وعملاً جاداً في سبيل تقدمه وتطوره، وبحثاً دائماً عن تنظيمات يعود إليها وقواعد تحكمه.

ان ما حدث من تطور مذهل في ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التي حققتها اللغة في سبيل تحقيق اتصال جماهيري على امتداد واسع. أصبحت اللغة في ظل الاعلام ذات قوة وسلطان، لما لها من تأثير هائل على تفكير الأفراد والجماعات او على شعورهم وسلوكهم وآراءاتهم.

انما حدث من تطور مذهل في ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التي حققتها اللغة في سبيل تحقيق اتصال جماهيري على امتداد واسع. أصبحت اللغة في ظل الاعلام ذات قوة وسلطان، لما لها من تأثير هائل على تفكير الأفراد والجماعات او على شعورهم وسلوكهم وآراءاتهم.

فأثر اللغة في عصرنا الحاضر قد ازداد قوة، واخذ الناس يعنون بوسائل الاتصال فيما بينهم. وازداد خطر اللغة النطوقة والمكتوبة بانتشار الصحافة والإذاعة والسينما والتلفزة والأساليب العصرية لتسويق الاعلام.

ولقد ذهب اصحاب النظرية اللغوية في معظم الاحوال الى ان البناء اللغوي لاحدى اللغات التي ينشأ عليها الناس ويلتقون بها من امهاتهم وآبائهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكرياً سلوكياً بذاته وكان من رأيهم ان اللغة انما هي «عالم لغوي وسط» يقوم بين الواقع الموضوعي وبين الناس، ويتربى عليه الفرد اثناء تعلمه لغة الام

ولذلك فقد كان من الطبيعي ان ينشأ في السنوات الاخيرة علم متخصص في تأثير اللغة على الجماهير وهو «علم المنفعة العملية للغة» او ما نحاول تحديده ملاحه في هذا البحث «بعلم الاعلام اللغوي» الذي يتركز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة، ويتوفر من الناحية اللغوية على البحث في قوة الكلمة وسلطانها.

وعلم الاعلام اللغوي يعد احد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث، وهو علم ما زال يتحسن طريقته الى النور، ذلك ان دراسة «المنفعة العملية» للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى وجود مناهج لغوية متكاملة، واطار نظري تستند اليه،

واسلوب محدد تتوخاه في الوصف والتحليل ، وهى امور لم تستوف دراستها بعد .

على ان فصول هذا البحث ليست الا اضافة يسيرة الى جهود سابقة لاساتذة جيلنا ، ممن اشتغلوا بالدراسات اللغوية ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة منارا على الطريق . ولكن الموضوع الذى عنيت به فصول هذا البحث انها هو من حيث صلة اللغة العربية بالعصر والحضارة ، والتعرض للقضايا اللغوية التى تواجه الاعلام العربى المعاصر . وهى بذلك تسير نحو منحى جديد من انحاء الدراسة اللغوية يريد بها الباحث ان يشق له طريقه اولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعد ، فى سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند كل جزئياتها وكلياتها .

وعلى ذلك فان مهمة هذا البحث لم تكن فى متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت فى شتى هذه الارض ، فى سبيل التعرف اليها — طريقا آخر ، يحاول هو ايضا ان يصل الى هذا الهدف البعيد فى تمثيل اللغة العربية ومزاياها فى الفن والتعبير . او على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا ، انا نحاول ان نرسم خطا جديدا لا يتوازى مع هذه الخطوط السابقة وانما يقطعها مخالفا لاتجاهها ، ليظفر بها لم تظفر به من جزئيات ، او من احداث او من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه او يعنيه ، وهو — هذا الخط الجديد — سينتهى على كل حال الى الغاية الاولى ، وسيكون ردفا غنيا للدراسة اللغوية .

وقد حاولت هذه الدراسة اذن ، ان تكشف عن مزايا الفن والتعبير الاعلامى ومزايا التعبير على العموم فى لغة الضاد لانها فى مبدأ الامر بحوث دعت اليها المناقشة فى موضوع الاعلام وتطوره او تطور قواعده ، ومستقبله فى العالم العربى ، وناسبتها بحوث اخرى عن المزايا الاعلامية فى لغتنا ترتبط بها وتصلح ان تكون مثلا للمزايا التى تثبت للغة .

ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا موضوع « الاعلام ولغة الحضارة » او مزايا التعبير الاعلامى فى اللغة العربية « موضوعا للبحث ، ويمكننا ان نوجز الاسباب التى دفعتنا فى ان اللغة العربية اليوم احوج ما تكون الى كل عمل علمى : لابرار مزاياها الفنية والتعبيرية فى مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة

اخرى فان الدراسة الاعلامية للغة تسعى الى حل المشكلات الكبيرة والصغيرة فى اللغة ، لتكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للامة العربية ، سعيا الى الوحدة اللغوية والتحرر اللغوى والقضاء على التجزئة والشعبوية او النفوذ الاجنبى فى ميدان اللغة والفكر ، وفى هذا ما يجعلنا ننظر باحترام واجلال عظيمين لجهود « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى » واقدامه على اجراء مسابقة هذا العام عن مخطوط نادر او دراسة نفسية حول اللغة العربية لم تنشر من قبل ، لما لهذا الموضوع من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية . فاللغة العربية لغة حضارة ، ويعنى ذلك انها تاسم مشترك اعظم فى كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ، وقد كان طبيعيا ان يسمى الاعلام للافادة من مزايا اللغة الحضارية ، ويتحقق التحول العظيم بتضيق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ويفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب فى كل مكان ، وليكون لها فى التعبير الجماهيرى سلطان .

وان هذا التحول لفرصة امام حراس اللغة والمحافظة على سلامتها ، لكى يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعالى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فانهم اذا تظاهرت جهودهم فى تلك السبيل — كما يقول الاستاذ محمود تيمور رحمه الله — امكن لهم ان يحيلوا اللفظ الحضارى كلمة مكتوبة ، والكلمة تصافح العيون فى الصحف والمجلات ، ثم هى تقرا فترجع الاسماع فى الاذاعة والتلفزة والسينما ، ونتيجة ذلك ان يصبح اللفظ الحضارى طعاما جماهيريا يسوغ فى الافواه كما يجرى على الاتلام .

وفى الصفحات التالية تفصيل واسع لهذا المعنى ، تنتقل بعده من مزايا اللغة فى التعبير الاعلامى الى مزاياها فى التعبير على اطلاقه ، نتحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الفصحى لان الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمسه تمام المساس فى زمن « اوسائط الجماهيرية الحديثة » . التى تلعب دورا هاما فى تقريب المعلومات المعقدة من افهام اوساط الناس ، وحيث تصبح اللغة والكلمة المفوطة والمسموعة او الكلمة المكتوبة ناقلة الحضارة الحديثة .

وبعد ، نرجو ان نكون قد وفقنا فى شق هذا الطريق فجل من لا يخطئ تحيزا او قصورا فى عالم البشر .



الفصل الاول

اللغة وتكوين الراى العام

يبذل العلماء جهودا متواصلة لدراسة اثر اللغة في تكوين الراى العام ، واعتبارها اهم عناصر القوميات ، دراسة علمية حتى يمكن التنبؤ بنتائج آثار الاعلام والتحكم فيها .

على ان فهم طبيعة الراى العام ركن اساسى يساعد على كشف العلاقات التى تقوم بين عناصره المختلفة ، فاذا كان الراى العام ظاهرة تلقائية اطلقوا عليها « عقل الجماعة » او الضمير الجمعى ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسى « اميل دركيم » . فان « اللغة » ليست من صنع الافراد ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتنبت من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران . وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع اذ يقررون انها من « نتاج العقل الجماعى » .

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بانه نظام خلقى ينشأ نتيجة تفاعل نشاط الافراد ، وتبادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم . وفي النهاية يصبح هذا العقل الجماعى هو القوة المسيطرة لاعماله الاجتماعية وتصرفاتها ، بحيث انه عند ما يقوم الافراد باى نشاط اجتماعى ، فانهم يدخلون في اعتبارهم ، ويضعون في صلب ضمائرهم ، اهداف المجتمع واغراضه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية في الجماعة التى ينتمون اليها ، ويتحدد سلوكهم وتضبط علاقاتهم وفقا للعقل الجمعى (1) .

فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد في اتباعه ، ويتخذونه اساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم ، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض وعلى ذلك فاننا لا يمكن ان ندرس تأثير اللغة الاعلامية في الراى العام دراسة موضوعية ، عن طريق دراسة سلوك الافراد ، باعتبارهم ذرات منفصلة ، او كما يقول الدكتور ابراهيم امام (2) كما لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الهيدروجين والاكسجين اللذين يتألف منهما .

فاللغة ليست من الامور التى يصنعها فرد معين او افراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبت عن الحياة الجمعية — على حد تعبير الدكتور على عبد الواحد وافي (3) — وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للافكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسر عليه مجتمعه ، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عنه سائس النظم الاجتماعية الاخرى ، ويصب اصواته في قوالبه ، ويحتضيه في تفاهمه وتعبيره .

والراى العام — كما يقول الدكتور امام (4) — هو المتبع الذى تصدر منه احكام الجماهير ، كما انه القوة التى يسمى الاعلام — عن طريق اللغة — الى التأثير فيها . ومع ان الراى العام وجود معنى لا نراه ، فان ذلك لا ينقص شيئا من قوته ، شأنه شأن الضغط الجوى الذى لا نراه ولكنه موجود بمعدل عشرين رطلا على البوصة المربعة كما يقول جيمس رسل الاول .

واللغة من الامور التى يرى كل فرد نفسه مضطرا الى الخضوع لما ترسمه (5) وكل خروج على نظامها ولو كان عن خطأ او جهل ، يلتقى من الراى العام مقاومة تكفل رد الامور الى نصابها الصحيح ، وتأخذ المخالف ببعض انواع الجزاء .

فاللغة اذن ظاهرة اجتماعية . وهى بوصفها هذا تؤلف اهم عناصر تكوين الراى العام ، الذى يسمى الاعلام بوسائله المختلفة الى التأثير فيه .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والراى العام . ولقد درج العلماء على الكلام عن « الراى العام » وكيف انه : الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء موقف من المواقف او تصرف من التصرفات ، او مسألة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم او تتعلق بمصالحهم المشتركة . فالراى العام يمثل محصلة الآراء والاحكام السائدة في المجتمع . وهذه الظاهرة تكتسب صفة الاستقرار وتختلف في وضوحها ودلالاتها في عقول الافراد ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم — رغم اختلافهم في مدى ادراكهم لمفهومها — ومبلغ

- (1) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجمعى وراى في طبيعة المجتمع البشرى .
- (2) الاعلام والاتصال بالجماهير ص : 204 .
- (3) اللغة والمجتمع .
- (4) العلاقات العامة والمجتمع ص : 137 .
- (5) د . وافي : المرجع نفسه ص : 4 .

تحقيقها لنفهم العام ومصطلحتهم المشتركة (6) .

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون ان الاجتماع العام او الراى السائد يكون فى اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات . اما الراى العام فأساسه الحوار والتقاش واحتكاك الافكار وتفاعل الآراء . والراى السائد او الراى الاجتماعى قد يكون مبنيا على تقاليد موروثة او على عادات كانت آراء فى الماضى ، ولكنها اصبحت كالبديهيات المسلم بها .

اللغة والاتصال الانسانى :

ومع ان الراى العام من المصطلحات الحديثة التى لم تعرف الا فى اواخر القرن الثامن عشر ، ابان حرب الاستقلال الامريكية والثورة الفرنسية ، فلا يمكن القول بأن الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للراى العام .

فلو اخذنا الحضارة — او الثقافة كما يفضل الانثروبولوجيون تسميتها . على انها هى حصيلة النشاط البشرى خلال تاريخه الطويل ، والتى تتمثل فيها انتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون وآداب وآلات وادوات وصناعات ، واخلاق وعادات وقيم ، وفيها حققته من مهارات فى كل هذه الميادين لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التى تميز الحضارة هى خاصية الاستمرار . والقدرة على الانتقال من جيل لآخر ، بحيث ياخذ كل جيل عن سبقوه ويضيف الى ما اخذه منهم ثم ينقلها بعد ذلك للاجيال التى تاتى بعده . فخاصية التراكم — كما يقول الدكتور احمد ابو زيد(7) — اذن هى التى تجعل هناك فارقا اساسيا بين الحضارة الانسانية ومختلف انواع النشاط التى نصادفها عند الجماعات الحيوانية الاخبرى ، واداة

هذا التراكم هى اللغة . والذى يمنع الحيوانات والقرود العليا من ان تكون لها حضارة هو فى المحل الاول افتقارها الى اللغة وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية على مواصلة تجاربها وخبراتها . فما يكتسبه القرد مثلا من « معرفة » فى حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده . وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة او موقف مماثل ، ولكنه فى الفترات التى تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير فى تلك الخبرة او التجربة بقصد تحسينها او استخلاص اية نتائج منها للاستفادة منها فى حل المشاكل الاخرى مثلما يفعل الانسان الذى يناقش فى العادة المشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات اخرى لتلك المعرفة . فمن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الانسان وتجاربه مستمرة ومتصلة وهذا يساعد بالتالى على تطويرها وتنميتها . ومن هنا كانت الميزة الكبرى التى يتميز بها الانسان وهى القدرة على نقل تلك الخبرات التى تؤلف فى آخر الامر التراث الحضارى او الثقافى من جيل لآخر عبر الزمن (8) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى اهم عنصر فى الحضارة الانسانية (9) .

تكوين الراى العام :

على ان العوامل التى تؤدى الى تكوين الراى العام ، كثيرة ومتشابهة ، كما انها تتفاعل مع بعضها

(6) د . وافي : المرجع السابق ص : 147 .

(7) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثانى — العدد الاول — 1971 — الكويت .

Hoiyer, "Language and writing" pp. 197.

(9) د . احمد ابو زيد : المرجع السابق .

البعض ، وفي رأى ماكجوجال (10) ان اهم هذه العوامل هي : الثقافة والاحداث ، والزعامة ، والاتصال الجماهيري ، والاتصال الشخصى والشائعات .
ومن ذلك يبين ان اللغة هي معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعا .

ولقد درج العلماء على اعتبار الثقافة ذات اثر كبير في تكوين الرأى العام ، وذهب بعضهم في دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة على الاكتفاء بتبين العلاقة الخارجية الواضحة بين مفردات اللغة ومحتوى الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هذه المفردات تعكس الى حد كبير اهتمامات المجتمع والجوانب التي يرتكر عليها والتي تشغل بال اعضائه مثل التقنية او التنظيم الاجتماعى او الدين او الروابط القربانية وما الى ذلك من المسائل التي تحتل مكانا مركزيا في بناء المجتمع وتدور حوله بالتالى اوجه النشاط الاجتماعى المختلفة .

وكل هذا يوضح ان ثمة صلة قوية بين مفردات اللغة وكثير من جوانب الثقافة غير اللغوية (11) ولكن الشئ الذى لم يهتم به معظم هؤلاء العلماء اهتماما كبيرا على الاقل هو ان اللغة قد تتدخل في تحديد وتركيب اغلاط الفكر في المجتمع الذى تسود فيه سواء ادرك الناس ذلك ام لم يدركوه . فكما ان الفنان وعالم النبات قد ينظران الى الاشجار والنباتات والزهور من ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التي تتكلم لغات مختلفة تنظر الى العالم نظرات مختلفة وتدركه بطرق مختلفة (12) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا تعنى شيئا اكثر من ان اللغة لها اساس ثقافى او حضارى وانه لن يمكن بالتالى تحديد مفردات اللغة تحديدا دقيقا الا بمعرفه بقية مظاهر الثقافة .

ولذلك يؤكد اوديجارد انه من المستحيل ان نفهم الرأى العام في امة من الامم ما لم نتدخل في اعتبارنا

تلك القوى المادية والادبية التي تشكل شخصية هذه الامة . ولكي نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التي تعطى للفرد معتقداته وتشكل اتجاهاته . فالانسان في المجتمع يتاثر بالاسرة والدين والتقاليد ونظام الدولة والاصدقاء والاقربان والصحف واجهزة الاعلام ، والجماعات ذات النفوذ كالنقابات والاحزاب والهيئات . ففى خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التأثيرات المختلفة كل يوم ، لكي تكون اتجاهات الرأى .

ويرى ليمان ان المسائل العامة هي التي تهتمنا من سلوك الناس ، وهذه المسائل العامة تتاثر بها يتصوره الناس او يتك الصور التي يكونونها في رؤوسهم عن انفسهم وعن حاجاتهم واهدافهم وعلاقتهم ببعض البعض . ويقول ليمان ان هذه الصور التي توجد في رؤوس الناس عن انفسهم وعن الآخرين هي آراؤهم العامة ومجموعة هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى بالرأى العام .

فالناس لا يعيشون في العالم الموضوعى الخارجى وحده كما انهم لا يعيشون في عالم النشاط الاجتماعى فقط كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرحمة اللغة التي يتخذونها اداة ووسيلة للتعبير . « فعالم الواقع » او الحقيقة يرتكر الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابهها كفايا بحيث تعتبران مثلتين لنفس الحقيقة او الواقع الاجتماعى . فالعوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متميزة اذن وليست عالما واحدا التصقت عليه اسماء وعناوين مختلفة (13) .

ويذهب بنيلمين فورف (14) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا . وهذه الفئات والاشتماط التي نفضلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها لانها تواجهنا او لا لانها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما ،

(10) د . احمد ابو زيد : نفس المرجع .

Pearcock, J.L. Ikirsh, A.T. "The Human Direction" p. 16
C. Macdougall, Curtis D. "Understanding Public Opinion"
(1955) New York

(12) مجلة « عالم الفكر » - المجلد الثانى - العدد الاول - 1971 - الكويت .

(13) Sapir "Language" p. 162

(14) Wharf, B.L., "Science and Linguistics" the Technology Review Vol. 42, 1940, p. 231.

منها ، والذي يقدمه المفسرون لها هو المؤثر
الحقيقي (16) - الخ

الاتصال والرأى العام :

وتأسيسا على هذا الفهم نحاول ان نلتئم اثر
الاعلام فى تكوين الرأى العام ، فنجد ان الاتصال
الاعلامى يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخلاص
الرأى ، وحمايته .

وسيلة الاتصال الاعلامى فى تحقيق هاتين الوظيفتين
هى : اللغة ، التى لا تصبح مجرد وسيلة للتعبير
عن الافكار او مجرد رموز لما يدور فى الاذهان ، وانما
تصبح تلك الوسيلة التى امتزجت بها عقولنا
ونفوسنا ، وندين لها بتلك القوة التى ساعدتنا على
التعاون مع رفاقنا ، ومنحتنا السيطرة على مخلوقات
اقوى منا جسما .

فاذا كان للرأى العام وجود حقيقى ، او مفهوم
محدود ، وجب ان نلتئم فى تلك الرابطة الوثقى
التى تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكارهم
واحاسيسهم وعواطفهم ، والتى تسمى باللغة او
اللسان .

فأقوى رباط يجمع اواصر الاسرة هو اللغة التى
يشعر معها افراد الاسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة ،
ويحسون باحساس واحد ، وينطقون نطقا متماثلا .
فالاسرة صفات خاصة فى النطق والآراء ، واختيار
الالفاظ واينار بعضها على بعض . وهكذا تكون القومية
بمعنى الرباط الوثيق بين افراد المجتمع ذات مستويات ،
وذاات احكام ، واصفرها حجبا ما نسميه بالاسرة ،
ثم ما نسميه بالقرية ، ثم ما نسميه بالمدينة ، ثم ما
نسميه بالدولة التى لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق ،
ويعمد اليها كل افراد المجتمع (17) .

وقبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقومية ،
سنحاول علاج كيفية تأثير الاتصال فى الرأى العام .

سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين :
استخلاص الرأى وحمايته . فالرأى الفردى الكامن
لا بد وان يتحول الى رأى علنى ظاهر ، وليس معنى

بمعنى ان العالم الخارجى او الواقعى هو مزيج من
العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد
حدود التباين وان العقول الانسانية هى التى تتدخل
لتكشف عما فيه من تنظيم ، ووسيلتها الى ذلك هى
الانساق اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية
ذاتها . فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتها
وتنظيمها فى شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك
او اثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا .

الانماط والرأى العام :

وتتصافر قوى التأثير الاعلامية والثقافية بما فى ذلك
العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبى وغيرها ،
لتشكل الانسان الجديد الذى يجد نفسه فى وسط
شبكة من التأثيرات المتقاطعة . فالخطب والافلام
والاغاني ، وصحف الحائط ، والرسوم البيانية ،
وغیرها ، تكون فى مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام
الناس والتأثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا
عن المجتمع . ولكنه يخضع فى نفس الوقت - الى حد
كبير - لرحمة اللغة التى يتخذها وسيلة للتعبير
والاتصال .

فالشخص فى المجتمع الحديث ، لا يستطيع ان يتقبل
المدرکات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع
خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه .

والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ،
فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنا
ثقافتنا - من قبل - فى شكل انماط جامدة . فبالناس
لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون
الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (15) .

ولا يعنى ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد
المدرکات الحسية والتفكير ولكن عملها هو توجيه
الادراك والتفكير فى اتجاهات معينة مألوفة مستعينة
فى ذلك بالاغلاط الثقافية الاخرى .

وتختلف طرائق واساليب التفكير فى المجتمعات
المختلفة بالنسبة للمذاهب وليست المذاهب نفسها ،
فليست الماركسية هى المؤثرة ، ولكن النمط السائد

(15) امام : « الاعلام والاتصال بالجواهر » ص 252

(16) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية والعالمية - ص : 102 .

(17) د . امام : الاعلام والاتصال بالجواهر ص 218 .

الإعلام ، أو عن طريق حملات الهمس أو الشائعات. وقد فطن خبراء الدعاية والإعلام ، من خلال تجارب الحربين العالميتين أن تأثير الاتصال في الرأي العام يزداد قوة باستخدام الأخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية . فقد اكتشفت قيمة الخبر في التوجيه والتأثير ، -وأصبح الخبر هو العامل الذى يحدد صورة الأحداث في أذهان الجماهير وكفت الدعاية عن انتهاج الأساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الأسلوب الإخبارى العلمى .

وحتى عند ما نقل الأخبار ، أو ينضب معينها ، لا يجد الإعلاميون بأسا من خلقها أو اختلاقتها (20). ويستغل خبراء الدعاية طبيعة الإنسان ، بإدراكه المحدود للعالم ، ومعرفته للأشياء بطريقة غير مباشرة أى عن طريق المعلومات والصور التى تنقل اليه بدلا من الخبرة الموضوعية والإدراك المباشر فيعملون على خلق الصور الذهنية التى تحقق أغراضهم . ويسمى الدعاية دائما عن طريق التحكم فى المعلومات التى يعرفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التى يريدونها أن تنتشر بين الجماهير .

ومع ذلك فإن هناك حدودا لا يستطيع الدعاية أن يتجاوزها مهما كانت قدرته ، ومهما كانت سلطته فى الرقابة على الأخبار والمعلومات . لأن الفرد يتمتع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما أن هذا الانتقاء يمتد الى قوى الإدراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة القيم والمبادئ التى يعتمدها الفرد ، ويتأثر بها من خلال الجماعات الأولية التى يعيش فيها .

فالإنسان العادى بمعتقداته الراسخة — دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا — لا يمكن أن يتقبل أى مناقشة دعائية تتعارض مع معتقداته . وقد أوضح « الدوس هكسلى » (21) أنه ليس من الصعب اغراء الناس على فعل ما يتوقون اليه . كما أنهم لا يسلكون كما يسلكون نتيجة لصفحات قراؤها أو خطب سبوعها ،

ذلك ان الاتصال لا بد ان يسرى فى اتجاه واحد من القيادة الى الجماهير ، اذ ان الاتصال يتخذ ثلاثة مسارات (18) .

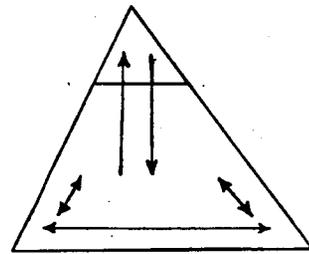
اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد ، وهو يشتمل على التوجيهات والتعليمات والبيانات والتفسيرات وغيرها .

ثانيا : الاتصال الصاعد من الجماهير الى القيادات وهو يشتمل على الملاحظات والشكاوى والخطابات التى تمثل اتجاهات الجماهير .

ثالثا : التيار الافقى الذى يسرى بين فئات الجماهير فى مستوياتها المختلفة .

وقد صور « هانزسباير » هذه التيارات الاتصالية على النحو التالى :

القيادات



الجماهير

ولكن هذه التيارات جميعا ، لا بد وان تتفاعل وتتسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوين الرأى العام .

وفى رأى ماكدوجال (19) كما سبق ان اهم عوامل تكوين الرأى العام هى : الثقافة ، والأحداث ، والزعامة والاتصال الجماهيرى ، والاتصال الشخصى ، والشائعات .

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل فى تكوين الرأى العام ، سواء عن طريق اجهزة

(18) الدكتور امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير »

(19) المرجع السابق — ص : 239 .

C. Macdoogall, curtis D., "Understanding Public Opinion"

(20) « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص : 251 .

(21) نفس المرجع السابق ص : 145 .

وانما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة الى تربية معينة ، وتوجيه سلوكى متراكم .

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الراى العام ، هو الاتصال الفكرى ، وحرية المناقشة ، فعند ما يقارن الناس خبراتهم ، ويعبرون عن وجهات نظرهم فى مسألة من المسائل الجدلية ، ويعلنون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة ، وعن طريق المنظمات الاجتماعية ، فان هذه المسألة او المشكلة تصبح موضوعا للموعى العام او الادراك الاجتماعى . فاذا تيسر الاتصال بين الناس ، تيسر صدور الراى العام ، اما اذا تعذر الاتصال ، فان الراى العام يصبح متعذرا .

ذلك ان الاتصال يتيح للمناقشات والجدل بين الافراد ان تتبلور فى رآى عام . ولا بد فى الاتصال الاعلامى من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الاول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات او الاخبار الى القارئ او السامع سواء كان فردا او جماعة . ويختلف الافراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات . لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الراى العام فى العادة ذلك ان الفرد فى المجتمع الحديث لا يملك من الوقت او الجهد او المال او العلم ما يمنعه من الوصول الى مدلولات دقيقة لجميع المعارف او تكوين صور حقيقية للعالم الذى حوله . وفى معظم الاحيان يكون الحصول اللغوى للقارئ او المستمع او المشاهد مجدودا ، فلا يفهم ما يقال له .

ومن ناحية اخرى تلجا اجهزة الاتصال بالجمهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق فى المطبوعات ، والزمن المحدود فى الاذاعة والتلفزة . كما يلعب عامل الوقت دورا رئيسيا فى تغطية الاتباء وتحريرها واخراجها .

والجمهير — كما يقول الدكتور امام — لا تتخذ التحليل الموضوعى ، والدراسة العلمية سبيلا للوصول الى الحقائق . فالاشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السائدة بتاريخها وتجاربها وقيمتها . ومع ان الشخص فى المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجردة عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحدودة ، فانه

لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبخ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه . والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا — من قبل — فى شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بنيتهم وثقافتهم . معتمدين فى ذلك على ما تدهم الثقافة واجهزة الاعلام من رؤى واخيلة وانماط ، وما يسرى بين الناس من شائعات .

ومن ذلك يبين ان الاعلام ، كما يقول «اوتوجروتز» ، هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت .

وتتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

اولا : عنصر المرسل .

ثانيا : عنصر المستقبل .

ثالثا : عنصر الاداة او الوسيلة .

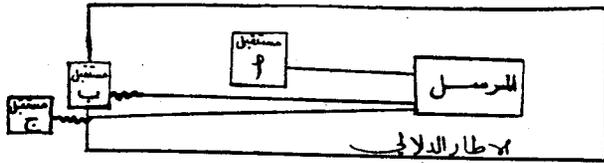
وقد اوضح كلابار الادوار الوسيطة النفسية والاجتماعية والثقافية ، التى تقف بين المرسل والمستقبل . فليست هناك علاقة بسيطة ومباشرة بين الاتصال والتأثير ، وانما هناك تفاعل نفسى واجتماعى فى مجال ثقافى بين المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمدركات والحاجات دورا رئيسيا فى الاتصال الجماهيرى . فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقيا عشوائيا بانصياع ورضوخ — كما يظن المفكرون النظريون — ولكنه ينتقى منها ما يفيد على ضوء بنائه النفسى الواقعى ، والمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه . ومن الثابت ان احكام الآخرين فى الجماعة الاولى التى يتخذها الفرد مرجعا له تقرر الى حد بعيد مدى تأثير الفكر بما يسمع او يشاهد .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه — اولا — المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وضيافتها فى رموز لتكوين الرسالة ، او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ، ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية .

من تداخل او تنافس مع الوسائل الاخرى . كما ان المستقبل نفسه ، وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة ، من اهم العناصر لاتمام الدورة الاتصالية . فكفاءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة ، واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال ، وقدره المستقبل على حل الرموز ، لا بد وان ينظر اليها على انها عناصر متعددة لعملية واحدة . ولا يكفى للتناغم بين المرسل والمستقبل ان تكون الرسالة في لغة يضمنها الطرفان ، بل ينبغي ان تكون الخبرات مشتركة ايضا ، فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبية لاينشتين ، لن تعوضه معرفته للغة العربية في فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس شيئا من علم الطبيعة والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة .

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالي . فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان في اطار دلالي واحد ، كان ذلك اقرب ما يكون الى الفهم .

ويعبر عن ذلك على النحو التالي :



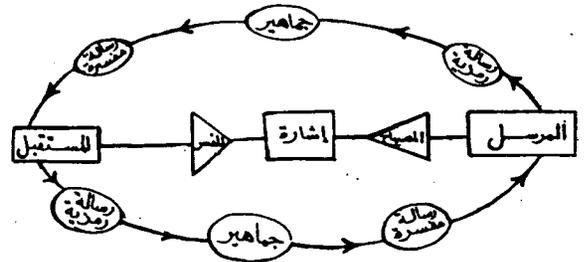
فالمستقبل (أ) يقع داخل الاطار الدلالي للمرسل ، فهو يفهم كل شئ والمستقبل (ب) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالي ، فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى ، اما المستقبل (ج) ، فانه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالي تماما .

اللغة والاتصال :

قال بعض العلماء : ان اللغة افراز مركب ضروري للفرد . وصالح لان يكيف بالكمييات الاجتماعية ، وبهذا

واذا وصلت هذه الإرجاع ، وفسرها المرسل تفسيراً صحيحاً ، فان الدورة الاتصالية تكتمل وتتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال - الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية . هي التي تتيح البناء الاجتماعي والثقافي نفسه .

ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالي :



لا بد للمرسل ان يضع رسالته في شكل معين او صيغة محدودة من الرموز او الكلمات ، ومن الطبيعي ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، او وسائل اعلام - كالصحف والاذاعة والتلفزة وغيرها - لكي تنتشر بسرعة في اماكن عديدة . ومع ان الكلمات المسجلة ، والرموز المعروفة ، تكون ايضا من الرموز السبعية ، فانها اطول عمرا وابقى على الزمن كالآثار والاهرام والوثائق والكتب .

ويتوقف ذلك - كما يقول الدكتور امام - على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا في كتابته ، او غير واثق من نفسه ، او ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال . واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة ، فانها تقف في سبيل نجاح الاتصال . كما ان الوسيلة نفسها ، لا بد وان تكون من القوة والمرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل في الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، مهما حدث

ويمكننا ان نفرس كلام الفرد الى نفسه ، وكلامه الى صاحبه .
وقال هنرى دولاكروا : ان اللغة هى دالة الفكر .
والحقيقة ان اللغة ، فى عمومها ، ذات وظيفة هامة جدا يمكن ان تلخص فى امرين :

والاول : امر فردى : هو قضاء حاجة الفرد فى المجتمع .
الثانى : امر اجتماعى خالص : هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فلما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغة فواضح ان طبيعة التخفيض تبدو فى وظيفة كل فرد ، بحيث لا يمكن ان يكون خبازا او ناسجا وحدادا ونجارا وصيادا فى وقت واحد .

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد فى اموره على غيره من اصحاب هذه المهن ، وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ، ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم . ولا بد للتفاهم من لغة ، ولو راقب المرء نفسه واحدا من حقل الاستعمال اللغوى ، لراى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة ، بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة ، لا على مجرد الاستخدام .

اللغة والقومية :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقوى الصلة بين مناطق مجتمع من المجتمعات ، وتسهل بينها وسائل الاتصال ، تتكون لها مع الزمن « لغة مشتركة » تقرب بينهم ، وتعين اهلها على تفاهم اسرع وايسر ، وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية . ولدينا فى العصر الحديث امثلة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التى تسود فى مناطق انجلترا ، وكالفرنسية المشتركة التى تسود فى مناطق فرنسا .. الخ (23)

وتتخذ اللغة المشتركة فى بدء نشأتها مركزا معيناً يتاح له من الظروف والفرص مالا يتاح لغيره ، فتتطلع اليه المناطق الاخرى ، وتسلم له الزمام فى النواحي السياسية ، والاقتصادية والثقافية ، وينزح اليه الناس من كل صوب ، ثم تتبلور عملية الاتصال الى مزيج لغوى منسجم يقبله الجميع ، وهو ما يسمى باللغة المشتركة . ومراكز اللغات المشتركة فى العالم هى عادة العواصم التى ينهيا لها من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا يتاح لغيرها من المناطق (24) .

ولذلك نرى نريقتا من العلماء يذهب الى تفسير اللغة على اساس عقلى او نفسى ، ويرى ان اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الانكار ونقلها من شخص الى آخر ، ومن مؤيدى هذه المدرسة «سابير» .

واما الشق الثانى : من وظيفة اللغة هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك ، والدين المشترك ، والادب المشترك ، والفكر والاحساس ، والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شئ من ذلك بدون اللغة ، وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او دين بلا لغة ، او فكرة بدونها ، او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها ، او ارادة تقوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها .

ان الشركة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

والمشكلة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

والمشكلة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

والمشكلة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

والمشكلة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

والمشكلة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

(22) مجلة المجلة العدد - العدد 113 - مقال الدكتور تمام حسان - القاهرة .

(23) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية العالمية - ص : 103 .

(24) مجلة « اللسان العربى » - العدد 6 - 1388 هـ - الرباط - ص : 19 .

ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظرون الى اللغة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار ، فيقول الاستاذ جفوتز في كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان للغة ثلاث وظائف :

اولا : كونها وسيلة للتوصيل .

ثانيا : كونها مساعداً آلياً للتفكير .

ثالثا : كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع اليها باعتبار وظيفتها في المجتمع ، فيعرفها العالم الأمريكى « دجار ستر تفتن » بانها : نظام من رموز ملفوظة بواسطتها يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية .

ومن ذلك يبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة في المجتمع الانسانى لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ، وتوصيلها للاذهان كما يقول علماء المنطق لان ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس هم اهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكار ، وانما هى وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع ، فاننا نكتين كثيراً من الناس يتكلمون في موضوعات ، ليس يعينهم منها نقل افكارهم الى غيرهم ، وانما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية ، او النظر في امور تخصهم في ادارة شؤونهم (25) .

وبذلك يبدو ان رأى علماء المجتمع بتعريف اللغة تعريفاً يتناسب مع وظيفتها في المجتمع هو خير ما تعرف به اللغة بوجه عام ، واللغة الاعلامية او لغة الاتصال بالجمهور بوجه اخص .

واذا كان ذلك صحيحاً فينبغى ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة : وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (26) . وهذا التعريف للجرجانى وابن جنى ومن الملاحظ ان هذا التعريف قد تمشى مع وجهة نظر علماء الاتصال بالجمهور والباحثين في الرأى العام تمشياً دقيقاً لان الاصوات ما هى الا الرموز الصوتية التى تنبع عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الانسان في حياته ، سواء كان احتياجاً عادياً كشؤون

الناس في حيثهم المتمشية مع احتياجاتهم في كل اوقاتهم ، والتى يسمى الاعلام الى تحقيقها عن طريق وظائفه الاساسية : الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح ، والتوجيه او الارشاد ، والتسلية او الامتاع ، والتسويق او الاعلان ، والتعليم او التنشئة الاجتماعية .. ام كان احتياج الانسان ضرورياً كاحتياج الاعلامى او رجل الاتصال بالجمهور للتعبير عن الافكار القائمة بنفسه لتوصيلها الى اذهان الجمهور .

وعلى ذلك فان اللغة المشتركة ذات اثر قوى في حياة الرأى العام ، لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس ، والطريق لارتباط الافراد بعضهم ببعض ، والموصل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقى الامم في شتى نواحيها .

واهم صفات اللغة المشتركة انها على حد تعبير « هنرى سويت » - تلك اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى اليها المتكلم . واللغة المشتركة هى في الحقيقة تعبير آخر لما يسميه السياسيون بالقومية . ولذلك لم يكن من المصادفة ان القومية حين بدأت تتخذ شكلها في القرن الثامن عشر لم يكن روادها من العسكريين او السياسيين ، وانما كانوا من العلماء والشعراء والكتاب الذين حاولوا جهدهم ان يتلمسوا ارواح الشعب في الاساطير القديمة ، والاغاني المجهولة الاصل وكانت اللغة في اعمال هؤلاء المفكرين اداة هذه الذكريات والتجارب المشتركة ، والسجل التاريخى . فليست القومية الا تلك الصلة الروحية التى اساسها الافكار والرغبات والشعور ، وكلها تنتقل من عقل الى عقل ، ومن نفس الى نفس في كلمات شائعة وثيقة الاتصال بتلك العقول والنفوس . فالكلام المشترك والتعابير العامة والنغم الكلامى بل المجازات ، كل هذا يتغلغل في نفوس ابناء البيئة الواحدة ، ويصبح المهاد النفسى للشعب ، ثم قد ينفجر في لحظة من لحظات التاريخ ، وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (27) -

ولعل « هردير » ، العالم اللغوى ، في اواخر القرن الثامن عشر ، كان اول من نبه الاذهان في كتبه الى علاقة اللغة بنفسية الامة وشخصيتها اذ يقول : « ان

(25) « الخصائص » لابن جنى - 1 ص : 21 - ط الهلال - 1331 هـ .

(26) ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » - ص : 104 .

(27) ساطع الحصرى : « ما هى القومية » - ص : 56

اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به ، وتحفظ فيه ، وتنقل بوساطته أفكار الشعب . واللغة سواء قلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن ان نشك في انها الآن تخلق العقل او على الاقل تؤثر في التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه توجيهها خاصا . والادب الذي يسود بين الطبقات العليا من الامة يعكس تأثيرات خارجية او اجنبية ، ولكن لغة الشعب تمثل في كل روح الشعب نفسه .

ان لغة الآباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين . ان قلب الشعب ينبض في لغته . ان روح الشعب يكمن في لغة الآباء والاجداد (28) .

ويؤكد الفيلسوف الالماني «فيخته» من بعد «هردر» في اوائل القرن التاسع عشر ، ان اللغة والقومية امران متلازمان ومتعادلان . ان اللغة ترافق المرء ، وتحركه حتى اعماق ادوار تفكيره وارادته هي التي تجعل منا نحن الالمان مجتمعا متماسكا يديره عقل واحد . ان الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من انفسهم كتلة موحدة ، ربطت الطبيعة بين اجزائها بروابط متينة ، وان لم نرها . ان الحدود التي تستحق ان تسمى حدودا طبيعية بين الشعوب هي التي ترسمها اللغات.

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبنون فكرة ان اللغة اساس القومية ، منهم «ماكس نورداو» الذي كان يقول : « ان الفرد يندمج في المجتمع باللغة ، وبها وحدها . باللغة يصبح عضوا في الشعب الذي يتكلمها وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكري والشعوري والاخلاقي والاجتماعي للامة ، سواء منه ما انحدر عن قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين ، السالفين ، او المعاصرين » .

ويتضح صدق الراي الذي نادى به النظرية الالمانية من ان القومية مرادفة للغة حين نتذكر تلك القوميات التي نشأت في اوروبا خلال القرن التاسع عشر . فقد وحدت المانيا على اساس اللغة وحدتها بعد ان كانت مجزأة الى دويلات كثيرة ، وكذلك وحدت ايطاليا

على اساس اللغة ايضا . وان استقلال بولندا واتحادها قد تم ايضا على اساس ان الناطقين بالبولندية اصحاب قومية واحدة ، وكذلك استقلال اليونان وبلغاريا ورومانيا والباينا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، فكل هذه الدول قامت على اساس ان لكل منها لغة قومية متميزة عن غيرها . اي ان تفكك كل من السلطنة العثمانية والامبراطورية النمساوية انما كان بسبب اختلاف اللغات فيهما ، فانفصلت عن السلطنة العثمانية الشعوب التي تتكلم بغير التركية ، وانفصلت عن الامبراطورية النمساوية الشعوب التي تتكلم بغير الالمانية (29) .

وشواهد الماضي وتجارب الحاضر في الشرق والغرب تثبت في وضوح ان اللغة على الاطلاق هي اقوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها ، حتى لقد ذهب العالم اللغوي سابير الى ان اللغة هي على الارجح اعظم قوة من القوى التي تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الراي امران :

الاول : ان اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع البشري لا يتيسر حصوله بدون اللغة .

والثاني : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا وفريدا للتضامن بين الافراد المتكلمين بها (30) .

فاللغة عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للانبياء والامعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد في صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشئ او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوي دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

اللغة والاتصال الاعلامي :

الوجود البشري ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس في كل لحظة ، وترافق المجتمعات في اطوارها التاريخية المتلاحقة ، فيصيبها ناموس التغير الحتمي الذي يجعلها اداة

(28) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » - ص : 108 .

(29) د . عثمان امين : « فلسفة اللغة العربية » - ص : 16 .

(30) مجلة « اللسان العربي » - العدد السادس - ص : 19 .

صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء ، عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ، ومعيارا دقيقا لرقبها او انحطاطها في ميدان الثقافة والعلم والحضارة . وحاول الكاتب الإنجليزي ه . ج . ويلز ، ان يكشف العامل الذي يفضل غيره في حركة التاريخ الانساني . وبدأ بمزية الإنسان الاولى ، وهي الكلام او اللغة اللسانية وجعلها المحور الرئيسي لحركة التاريخ الانساني بأسره . وقسم هذا التاريخ اقساماً رئيسية : الاول : عصر الكلام ، والثاني : عصر الكتابة ، والثالث : عصر الطباعة ، والرابع : عصر الاذاعة . وادخل في اعتباره العوامل المساعدة لهذا المحور الرئيسي ، كاختراع البخار والكهرباء ، واقتراح الطباعة بالانتاج الآلي الكبير .

وليس من شك في ان ويلز كان من المبشرين بلغة جديدة ، وفن اعلامي جديد ، كان من القلائل الذين ادركوا ان التقدم الانساني يسير بخطى سريعة ، وبخاصة في التحكم في الطاقات الهائلة .

على ان ذلك يؤكد ان اللغة لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل ، قدرة كلمته ، وهي لا تفنأ بتغيير شكلها ومبنى ، تغير حروفها واصواتها او صيغتها وبنائها او من ناحية معناها ، فقد تنقل الكلمة من معنى الى آخر ، او تضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التي تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ، ولا سبيل لتفضيل لغة على اخرى ، وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيري .

الامة البدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ومفتقرة الى عديد من العبارات والالفاظ التي تؤدي المعاني الحسية والمجردة ، فهي المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته نموا ، تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطاء كل سمة لفظا مناسباً (31) .

ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته

البيولوجية خطأ آخر للاستمرار ، يجعل الثقافة ، وتراكم المعرفة ، امرا ممكنا .

وقد اتاح العلم الحديث لغة ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية في صورها النظرية والتطبيقية ، كما اتاح للالفاظ المنوية المجردة طاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر ، وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الاعلام والاتصال بالجمهور غنية بالمدلولات التي تعمقت في اغوار النفس البشرية وحاجات الانسان حتى صار عدد من الفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعاني المجردة واعمقها (32) .

وكان طبيعيا ان يشتد الاحساس بالحاجة الى لغة اعلامية ، بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها الى : وسائل مكانية ، ووسائل زمانية ، ووسائل مكانية زمانية .

ويقصد بالوسائل المكانية تلك التي تشغل حيزا في مكان كالصحف والمطبوعات والصور ، والفنون الشبكية ، وهي جميعا وسائل بصرية او منظورة . اما الوسائل الزمانية فهي التي تتسلسل في وقت زمني كالاذاعة والتلفزة والاحاديث المسموعة ، وهي وسائل شفوية او سمعية . وتعتبر الافلام الناطقة ، والتلفزة والمحادثات الشخصية المباشرة ، وسائل مكانية زمانية لانها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمانيا في نفس الوقت ، وهي وسائل سمعية وبصرية .

وادى هذا التطور الى ظهور لغة من نوع جديد ، غير اللغة الادبية بمستواها التذوقي الجمالي ، وغير لغة العلم ، فاللغة الاعلامية الجديدة التي تسعى الى جميع فئات القراء ، الى تحقيق المستوى على الصعيد الاجتماعي للغة .

وبلغ البعض في تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا ان عصر التدوين على المنهج القديم قد انتهى ، وان اللغة اللسانية تستعيد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، وبكل ما في الصوت من نبر وايقاع ، وان الصورة تتخذ بدورها مكانها الى جانب اللسان . ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس ان هذه

(31) مجلة « اللسان العربي » - العدد الاول - ص : 28 - المغرب - 1381 هـ .

(32) د . ابراهيم امام : المرجع السابق - ص : 199 .

والدليل على ذلك أن كثيرا من الإييين في مصر يشتررون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين ، أو يجتمعون في القاهرة أو الدور الريفية للاستماع الى تلاوة الصحف

اما الوسائل الزمانية السمعية كالإذاعة ، فتتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطة القصيرة ، واذا كانت المطبوعات والصحافة تناسب ذوى الثقافة ، فان الإذاعة تناسب قليلى الحظ منها ، بل والإييين انفسهم . ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافرا في الصوت الإذاعي النابض بالحياة، فانه من الطبيعي ان تتفوق الإذاعة على الصحافة في هذه الناحية . ومن نتائج ذلك ايضا ان الإذاعة من اصلح الوسائل للاستهواء والإيجاء (33) .

ويعلل « دوب » سر القوة الإيحائية بأنها وسيلة سريعة للنشر ، بحيث تتفوق على الصحافة ومعظم وسائل النشر الأخرى ، وبذلك تنفرد الإذاعة بالسبق وأولوية النشر . والاثر الأول للخبر أو الراى لا يحى بسهولة ، كما تصعب معارضته . والواقع ان الإحساس الجماعى من اهم مميزات الإذاعة . فقد يستطيع المستمع ان يشترك فعلا في البرنامج ، او انه على الأقل يحس وهو في بيته انه عضو في جمهور كبير من المستمعين ، وهذا الإحساس الجماعى يعمق من قوة الاستهواء . ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعى الإذاعة من الإييين ومتوسطى الثقافة ، فان الاستهواء يكون اسرع واقوى اثرا . ولا غرابة ، اذن ، ان تلعب الإذاعة دورا خطيرا في الدعاية السياسية الموجهة الى الشعوب المتخلفة ثقافيا ، كما يقوم بدور رئيسى في الترويج التجارى ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية . غير ان الإذاعة — والوسائل الزمانية السمعية عموما — لا تمنح المستمع تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التى يتمتع بها قارئى الصحيفة او الكتاب . فالمستمع مقيد دائما بموعد الإذاعة المحددة الذى لا يمكن تغييره . وهو لا يستطيع ان يطلب من المذيع او المتحدث ان يعيد ما يقول ، او ان يقرأ بسرعة معينة تناسبه .

ويتضح لنا من التجارب التى اجراها « بلومر » و « دوب » ان الوسائل السمعية البصرية كالافلام

الجارحة كانت اكثر وسائل الاتصال مرونة ، لانها تستطيع ان تسجل الصور الحسية على اختلافها ان تحكى او ترمز او تشير الى الصور البصرية والسمعية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال. والصحيفة والمجلة واللافئات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على بعض الوسائل الأخرى .

واهم هذه المميزات ان القارئ او المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة تلائمه ، فالقارئ مثلا : في حالة الصحيفة او الكتاب يستطيع ان يقرأ بالسرعة التى تناسبه ، كما يتمكن من اعادة ومراجعة ما قراه في اى وقت يشاء . لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقدة ، والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة . وغنى عن البيان ان هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكن الناس من التقد المدروس ، والعناية بالتفاصيل الدقيقة. فلا غرابة اذن ، ان تتفوق هذه الوسائل في التمييز عن الدراسات الدقيقة والموضوعات الطويلة ، ذات التفاصيل الكثيرة .

ومن اهم مميزات الوسائل المكانية البصرية ايضا ، انها تخدم الأذواق المختلفة ، وتعبّر عن الاتجاهات المتعددة . فمن الممكن مثلا ان تصدر الاقليات صحفا لها ، كما يمكن للجمعيات المختلفة ان تسجل نشاطها في صحف ومجلات خاصة بها . ومن الثابت ايضا ان الاتجاهات المتطرفة ، والحركات الثورية ، والمذاهب الجديدة لا تجد خيرا من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وآرائها .

ويندر ان تستعمل الوسائل الأخرى كالإذاعة في مثل هذه الاحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة في معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الأخرى . ومع ان التجارب التى اجريت في مصر وسوريا والاردن ولبنان مجتمعة، فقد اثبتت ان 63 % من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة ، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها . ولا شك ان مرد ذلك الى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطنى المشرف .

(33) د . ابراهيم امام : المرجع السابق — ص : 199 .

وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى امية فى كثير من قضاياهم السياسية .

ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية . وتحمس الشعراء الشعوبيون للامم او الاجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبية وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الاخرى .

اما فى المذنيات الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة ، نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها . ويبدو ان التقدم الحديث فى فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية .

والبقاء او الدوام مقياس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة . فالكتب اطول وسائل الاعلام بقاء ، وتشهد بذلك تلك الدور الخالدة فى الآداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا فن العمارة وسيلة من وسائل الاعلام — وانه كذلك — لكانت الاهرام والآثار المصرية والمساجد الاسلامية العريقة من اخلا هذه الوسائل جميعا . وتحل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ، ثم تاتى المجلات التى تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، واقل وسائل الاعلام بقاء هى الاذاعة والتلفاز ، فلا تكساد تترك اثرا باقيا بعد النشر . ومع ذلك فينبغى الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفاز لانهما يؤيدان واجب الاعلام السريع ، والاستهواء العاجل بالنسبة للأطفال ، وتقليل الحظ من الثقافة ، اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلى الوسائل لمعالجة المعانى الصعبة ، والمبادئ الفلسفية ، والافكار المعقدة بوجه عام .

وسواء كان النمط الاتصالي شخسيا او جماعيا او جماهيريا ، فثمة حقيقة واقعة ، وهى ان عملية الاتصال الاعلامى فى جميع انماطها ، تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى ، وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ، ومعانيها الثقافية ، تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى والاتصال ، فى جوهره ، هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها ، والتى يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى . فالرموز هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل .

الناطقة والتلفزة ، تمتاز بتاثيرها القوى ، بحكم واقعية الصورة وحيويتها مقترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية . ومع ان نتائج اباحث هذين العاملين تشير الى ان الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الاخرى فى درجة تذكر الافراد المعرضين لها ، فان هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة .

اما التجارب التى اجراها « ستودارد » و « هول وداى » فقد اثبتت ان الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الفائقة على الاستهواء . ويؤكد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للأطفال ، فهم يصدقون كل ما يرونه فى الافلام ، حتى انه ليصعب جدا تعديل التأثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم . وغنى عن البيان ان عادات المثلين على الشاشة — كالتدخين او اختيار ازياء معينة — سرعان ما تشر بين المراهقين وغيرهم من شديدي الحساسية للاستهواء .

والافلام من الوسائل القوية التى تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين . كما انها تنجح بالنسبة للاجانب ، الذين لا يجيدون لغة الفيلم اذ يمكنهم متابعة تسلسل الموضوع من خلال الصور وحدها ، ومن الثابت ان واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الالوان . اما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو اقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الاخرى . ولكن هذه النتيجة الاخيرة لا زالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (34) .

وليس الامر مقصورا على المميزات الطبيعية وحدها بل ان العادات والتقاليد والاساليب الحضارية ، لها تاثيرها القوى على تكوين الجماعات السمعية او البصرية . فقبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد .

ف عند العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الوحيدة للتعبير عن راي القبيلة فى العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها فى مناصرة صاحب الدعوة . ثم فى عصر بنى امية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » . وعلى الشعراء السياسيين من امثال جرير والفرزدق والاخلط والراعى

(34) د . ابراهيم امام : نفس المرجع — ص : 205 .
J.T. Klapper, "The Effects of mass media".

الفصل الثاني

اللغة والاتصال بالجمهور

تعتبر مشكلات اللغة من المسائل الرئيسية الهامة في الدراسات الانسانية ، ان لم تتجاوزها بالتخطي الى الاهمية المطلقة .

والتعريف الشائع للغة هو انها مرآة تعكس الفكر ان وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها او تبادلها ، اذ يعرف « هنري سويت » اللغة في كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الاصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الامريكى « ساير » في كتابه « اللغة » بأنها « وسيلة لتوصيل الافكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره » .

على ان احدث تعريف للغة هو ذلك الذى وضعه العلامة « جبرش » في كتاب « فلسفة النحو » : « تكمن روح اللغة في نوع من النشاط الانسانى ، نشاط من جانب فرد يجدد في افهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بفرض فهم ما كان يجرى في ذهن الشخص الاول » .

ولكن علم الاتصال بالجمهور بوصفه عملية اجتماعية هامة ، هو العلم الذى يدرس هذه الظاهرة دراسة منظمة تتعد على المنهج التجريبي ، وتقوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس . وقد هيات ظروف الحربين العالميتين فرصة سانحة لدراسة اساليب الاتصال ، وفنون التأثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هذه الظروف ، ففيها استطاع العلماء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تأثرهم بالاتصال . وقد خرجوا من دراسة الحصالات واجراء التجارب ، بمجموعة من النظريات التى تربط بين عدد من الوقائع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا (35) .

ويعتمد علم الاتصال بالجمهور على عدد كبير من البحوث التى اجريت في العلوم الاجتماعية الاخرى

واهما علم النفس ، وخاصة علم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع ، وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) ، وعلم السياسة . فضلا عن علوم الاقتصاد والتاريخ واللغات . ولا شك ان دراسة علم الدلالة قد اثر اثرا كبيرا ، بفهم حقيقة الرموز ودلالاتها الصياغية الاتصالية . ونظرا لاعتماد علم الاتصال بالجمهور على سائر هذه العلوم الاجتماعية ، فقد رأى البعض ان هذا العلم ليس علما مستقلا او قائما بذاته ولكنه عبارة عن مجموعة من الدراسات المتعددة . ومما لا شك فيه ان ظاهرة الاتصال بالجمهور هى الموضوع الرئيسى للمستقبل الذى يدرسه هذا العلم دراسة منهجية ، ولا يتقص من شأنه واستقلاله استعماته بالعلوم الاخرى التى تتصل بجوانب متعددة من هذه الظاهرة الهامة .

اللغة عند افلاطون وارسطو :

ومع ان علم الاتصال بالجمهور من احدث الدراسات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، فان عملية التأثير والاقناع ، كانت دائما موضع دراسة عميقة وجادة منذ اقدم العصور ، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة فيقول الانجيل بأنه فى الاصل « كانت الكلمة وكانت الكلمة هى الله » ، كذلك يقول القرآن : « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » .

وقد تطور افلاطون وارسطو بهذه النزعة الروحية فى تفسير نشأة اللغة فعنيا عناية فائقة بدراستها ، وهى من الموضوعات الهامة فى علم الاتصال . فيذهب افلاطون الى ان اللغة الهام ومقدرة فطرية يكتسبها الانسان منذ الخلق . وقد نهج بادئ ذى بدء نهجا خاصا عبر به فرأى ان لا سبيل الى فهم الحقيقة اللغوية الا بالنظر فى اللفظ الاولى فى لغات عدة ، ولذا فقد رأى ان النظر فى اللغات الاخرى للشعوب المختلفة امر ضرورى للوصول الى الهدف المنشود . ويدرك

(35) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجمهور » - ص : 35 .
Sapir, "Language", Harcourt Brace, N.Y. 1921, p. 23

افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر ان السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخرى .

على ان افلاطون يرى ان الالفاظ تساعد على التوضيح وان الفكر لا يتولد من اللغة ، ولكن اللغة هي التي تتولد من الفكر . فلكي نسمى الاشياء باسمائها لا بد لنا من ان نعرفها اولاً .

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخرى حين يتنازل موضوع الاتصال بطريقة مباشرة في كتابه « الخطابة » فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجاه افلاطون ، فلما ان اللغة لا يمكن ان تكون الهاما وموهبة انسانية . وان اللغة نظام لفظي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية في مكان ما .

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون في الاخذ بالنظر العليسى ، فنقسم الالفاظ الى اسماء ، وافعال ، وحروف ، وتحدث عن موضوعات لغوية منها التذكير والتانيث واليسيط والمركب .

ولآراء ارسطو في اللغة مكائنتها التاريخية في علم الاتصال بالجماهير ، حين يؤكد ان « الخطابة هي القدرة عن النظر في كل ما يوصل الى الانتفاع في اية مسألة من المسائل » . ذلك ان الخطابة او البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة في الجماهير هي محور ودراسة علم الاتصال الجماهيري الحديثة ، فارسطو يقسم الموقف الاتصالي الى ثلاثة عناصر .

هي الخطيب او المرسل ، والجمهور او المستقبل ، والخطبة او الرسالة ، مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء . وهذا هو ما ظهر تماما في الدراسات الحديثة .

الدراسات الاسلامية :

وقد تأثر العرب بهذا العلم الاغريقي وقراه مترجما على يد الآراميين والسريان . ومن العجيب انهم لم

يتأثروا بالتفكير الهندوكى اللغوى بالرغم من اتصالهم بهم (36) . ومن هنا انطبعت الدراسات اللغوية العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التي يغلب عليها طابع الفلسفة (37) .

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية « الجياسة » (38) كما ورد في « مروج الذهب » للمسعودى عند ما يقول :

« وقد بلغ من احكام معاوية السياسية واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه .. الخ » ويقصد بذلك تأثير معاوية في الجماهير عن طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ به الامر الى حد تزييف الاحاديث ، واختلاق الروايات ، وتلفيق المواضع التاريخية من اجل التحكم في نفوس الجماهير .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الاثير يستطيع ان يتقف على تفاصيل الدعاية الاسلامية في العصرين الاموي والعباسي . كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفة من اهل السنة والمعتزلة والشيعة في الدعاية السياسية والدينية معا (39) .

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير في الجماهير في كتابه « البيان والتبيين » : ومتى شاكل ابقاك الله — ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك اقدر لفتا وخرج من ساحة الاستكراه ، وسلم من فساد الكلف كان قمينا بحسن الموقع ، وانتفاع المستمع ، واجدر ان يمنع جاتبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العيابين ، ولا تزال القلوب به مغمورة ، والصدور مأهولة ، ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه ، متخيرا في جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبيب الى النفوس ، واتصل بالانذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على السن الرواة ، وشاع في الامم ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مداة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتطم المريض .

- (36) ابراهيم السامرائى : « التطور اللغوى التاريخى » — ص : 11 .
(37) د . عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » — ص : 16 .
(38) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 39 .
(39) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 29 .

« المورفولوجيا التعليمية » اى « علم البنية التعليمية » (43) .

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الذى عرفناه « بعلم الصرف » .

واتجهت الدراسات العربية كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب ، على النحو الذى وجدناه لدى ارسطو ، وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلم البلاغة » التى تضم المعانى ، والبيان ، والبديع . وعلم المعانى يبحث فى بيان ما ينبغى ان يكون عليه الاسلوب العربى ليطابق مقتضى الحال وليعبر عن المراد ابلىغ تعبير ، اما البيان فهو العلم الذى يشرح المناهج التى يسلكها الاسلوب العربى فى استخدام التشبيهات والمجازات والكتابات ، والبديع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التى يحتلها الاسلوب العربى وموضوعات البحوث الثلاثة ، كما نرى تبحث فى اللغة الاتصالية ، على النحو الذى تتجه اليه علوم الاتصال بالجمهير ، وهى من جهة اخرى «ترجع الى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة «الستيلستيك التعليمى» اى « علم الاسلوب التعليمى » .

وقد عنى المتقدمون بالكتابة فى بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » لابي عبيدة ، و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة فى هذه العلوم فى مؤلفات تضمها جيبعا « كالصناعتين » لابي هلال العسكري و « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجانى .

وفى الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون فى الكنتة العربية من حيث نطقها وادائها ، لبيان الوجوه التى قرئ بها القرآن الكريم . وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وانواعها ومخارجها ، والفن وضروبه ، وتأثر اصوات الكلمة المتجاورة بعضها ببعض .. وما الى ذلك من مسائل « الفونيتيك » الخاصة باللغة العربية (44) .

فاذا اراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصالحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يحصى ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شغفا لاهل الاختلاف والفرقة ، رجعت له الحظوظ من اقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزمته ، وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته ، وجبلت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من محبته ذنوبا حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع من كد الكلف ، وراح قارئ الكتاب من علاج التفهم (40) .

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم ، بعد نزول القرآن ، واتساع الفتوحات ، وخاصة بعد قيام الدولة العباسية ، فجددوا انفسهم للعناية بالمرور اللغة حرصا على كتاب الله ، فاتجهت الدراسات اللغوية فى اتجاهات عدة ، واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها قال الفراء :

وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الامم اختصاصا من الله تعالى وكرامة اكرمهم بها ، ومن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجد فى غيرها من اللغات (41) .

ويبرز الاتجاه الاول فى عناية الباحثين العرب بما يسميه علماء الغرب « بالستكس التعليمى » اى « علم التنظيم التعليمى » (42) او « علم النحو » الذى بدأ يظهر على يد الباحث اللغوى ابي الاسود الدؤلى ، وظلت العناية موجهة فى هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجرى ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة باجزاء الكلام ، وتبيان صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها ببعض ، واقسام الكلمة ووظيفتها فى الدلالة . كما اخذ العلماء العرب فى هذا الاتجاه يدرسون المسائل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات العربية وتصريفها وتغيير ابنتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحوث التى يطلق عليها الغرب

(40) « البيان والتبيين » - ج 3 - ص : 20 .

(41) القلتشندى : « صبح الاعشى » ج 1 - ص 149

(42) د . وافي : « علم اللغة » - ص : 53 .

(43) المرجع السابق - ص : 53 .

(44) المرجع السابق - ص : 56 .

واتجهت جهود الباحثين العرب في الاتجاه الرابع الى البحث في اشعار العرب فجمعتها ونقبت عن معانى الغريب في مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله .

ويدلنا على ذلك ما روى (45) عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضا : « اذا تعاجم شئ من القرآن ، فانظروا في الشعر ، فان الشعر عربى » .

وعنى الاتجاه الخامس « بمتن اللغة » والذى تفرعت منه ثلاثة اقسام ، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات ، واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » .

وعنى القسم الثانى بوضع معجمات ترمى الى بيان المفردات الموضوعة المختلفة المعانى ، وترتيب المعانى بطريقة خاصة ، وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب « الالفاظ » لابن السكيت ، و « الالفاظ الكتابية » للهدانى ، « وفقه اللغة » للثعالبى .

اما القسم الثالث فقد عنى بتأليف رسائل خاصة فى الالفاظ او المعانى ، ككتاب ابى حنيفة فى الانواء والنبات ، وكتاب يعقوب فى النبات والاصوات والفرق ، وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى .. الخ

واتجه البحث اللغوى عند العرب - فى الاتجاه الاخير - الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (46) .

فمن ذلك دراسة الاصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية ، ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس فى كتابه « الصحابى » فى فقه اللغة وسوق العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى ، والقياس والاشتقاق .. الخ ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى

فى كتابه « الخصائص » كبحثه فى اصل اللغة وهى هى الهام ام اصطلاح .. وهلم جرا ،

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت فى دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ، ونعنى اللغة ، حيث نتعرف على تطور اللفظ ، والاساليب والعوامل التى اثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا .

وقد وجدنا ان الفارابى (47) المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع . كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتأثير فى الناس . ويتحدث الفارابى فى « آراء اهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تمسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب ، والاشتراك فى شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض ، والاشتراك فى لذة ما . اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان ويتشابه الشيم والخلق .

ويذهب ابن خلدون فى مقدمته الى تحليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على اسس اجتماعية ، ويرفض ما ذهب اليه المسعودى من اسباب تتصل بتركيب الانسجة . ولعل هذا الاتجاه الذى يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية فى تحليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذى يرفض التعليلات الغيبية والافتراضات المتصلة بالفرائز ، والعوامل البيولوجية العتيقة . وحين يتحدث ابن خلدون عن التعلم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

« لان الانفعال لا بد من عود آثارها على النفس ، فانفعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء ، وانفعال الشر والسفسفة تعود بغير ذلك فتمسك وترسخ ان سبقت وتكررت ، وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارهم المضمومة فى النفس ، شأن الملكات الناشئة عن افعال » .

(45) « تفسير القرطبي » - ج 10 - ص : 129 .

(46) د . وافي : « علم اللغة » - ص : 59 .

(47) الفارابى - ابو النصر : « آراء اهل المدينة الفاضلة » - القاهرة 1948 .

اللغة في ضوء البحث الحديث :

« اللغة ودراستها » و « حياة اللغة وتطورها ».

وقد جنح هذا الأخير باتباع مذهب دارون في التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التي يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على أنها تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليل اللغوى في العصر الحديث ارتبطت بقيارات الفكر العلمى التى سادت القرن التاسع عشر . ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات في اطار علم اللغة المقارن .

ومن جهة اخرى فقد عالج توماس هوبز الذى عاش في انجلترا في القرن التاسع عشر مسائل التفاعل الاجتماعى عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك في كتابه « التنين » ويقول هوبز ان التجمع ليس صفة مقصورة على البشر ، فهناك تجمعات النمل وخلايا النحل التى تتصف بالتماسك ودقة العمل.

ثم يقول ان اهم ما يميز التجمعات البشرية عن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكن الفرد من ان ينقل الى الآخرين افكاره وآراءه بما يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة ، فان الاتصال الانسانى على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الافكار والآراء . فليس غريبا ان الانسان وهو الحيوان الناطق، وهو ايضا الحيوان الذى يحارب بالفكر والعقيدة والدعاية والسلاح . ولذلك يتطلب الامر وجود قوة تتمثل في الدولة او الحكومة التى تنظم الاطعام ، وتنسق الافكار ، حتى لا تعم الفوضى ويذهب الناس في سبيلهم شتى .

وفي سنة 1860 ، بدأ اثنان من الباحثين هما لازاروس ، وستينثال نشر بحوث متصلة بعلم النفس لا شعوب ، وفيها دراسات عن اسباب الشعور المتماثل لدى الافراد ، وهى الروح العامة التى تظهر في اللغة والاساطير والدين والتراث الشعبى ، والفن والادب ، وقواعد الاخلاق السائدة ، والعرف والتانون . ويبدو ان ستينثال قد وقع تحت تأثير الدارونية ، وقولها بوجود قوانين عامة تحكم التطور ، ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد وميوله النفسية وقوله بوجود سيكولوجية

ظلت البحوث اللغوية في اوربا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى محصورة في دائرة ضيقة وتعدو كثيرا مسائل علوم البنينة والتنظيم والاسلوب (المورفولوجيا والسنتكس والسيتيلستيك) في اشكالها التعليمية (48) .

ولما بدأت النهضة الاوربية في اواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على العلوم العربية مترجمة الى لغاتهم بدأ الإهتمام بالدراسات اللغوية ، حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز احد قضاة الانجليز في الهند والذى لاحظ الشبه القوى بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية ، هذه اللغات جميعها صدرت عن اصل واحد .

وكان من اشهر من افتتح هذه السبيل فون شليجل الذى قرر ان الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراثيها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالى الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى قوانين في تلك اللغات مثل القوانين في اللغات الهندية والتى جعلت اساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايدانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخى التى قام بها جريم ودييز وبراشيه وماكسى مولر وغيرهم . وقد اسدى هذا المنهج المقارن في دراسة اللغة خدمة جليلة في بيان طبيعتها ، وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق ، وكشف لأول مرة عن وجود ما اطلقوا عليه اسم « القوانين الصوتية » وظهر علم الاصوات التشريحي على يد مولر ، وقد تهيأ لهؤلاء العلماء ان ينتهوا الى طريقة في الاصوات تغير الحروف اللاتينية.

كما اثر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية ، وظهر علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولر محاضرات في علم اللغة وقد نشر سنة 1861 . كما جاء في كتاب الامريكى Whitney فى كتابين فى نفس الموضوع هما :

(48) د . وافي : « علم اللغة » - ص : 40 .

جماعية - او عقل جمعى - هى التى تتمثل فيها النزاعات والميول النفسية الاجتماعية .

ويرى هيرمان باول ان علم النفس الاجتماعى بالمعنى الذى ذكره ستينثال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الاول . كما يقرر ان اللغة هى اهم الادوات التعبيرية التى تستعمل فى المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكرة من الافكار نشأت لديه بفضل كونه عضوا فى جماعة ، وهى :

1 - يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيها حوله من اشياء او ادوات تعبيرية .

2 - تنتقل هذه الاشياء والادوات الى فرد او افراد سواه .

3 - يقوم الآخرون بنشاط مادي يؤثر على بعضهم البعض تأثيرا قد يفيدهم ، ولكنه ينسجم مع مقتضيات ثقافتهم .

وقد استطاع « فونت » ان يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الانطباعات الماضية فى تشكيل عملية الادراك .

ومن المعروف ان دراسات الاتصال الحديثة تعنى عناية فائقة بانثر هذه الانطباعات المترسبة التى تكون الانماط والتصورات الذهنية على ادراك المفاهيم الجديدة . لان الافكار لا تنشأ فى ذهن الفرد مستقلة عن تراث جماعته ، وذلك لانه بالرغم من ان تجارب كل فرد هى التى تخلق فى ذهنه افكاره الا ان للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا فى الحكم على امر ما بالخير او بالشر وبالجمال او القبح كما ان ثقافة المجتمع هى التى تحدد للفرد معالم افكاره .

وبعد ذلك اصبح موضوع الايحاء والقابلية للتأثر او الاستهواء من اهم الموضوعات التى عالجهما كبار المفكرين من امثال جوستاف لوبون (49) وجبريل تارد . وقد اهتم لوبون بدراسة سيكولوجية الجماعات فى كتاب روح الاجتماع وكان متأثرا بالدراسات السابقة فى الايحاء . والجديد فى كتاب لوبون انه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التأثير بينهما . ويقرر لوبون

ان تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان ، وكثرة العدد ولكن المهم هو اتجاه المشاعر والمواطف والافكار نحو هدف واحد ، ذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيرى .

وبينما يؤكد لوبون اهمية الايحاء فى التأثير الاجتماعى ، نجد ان تارد يذهب الى ان المحاكاة هى اساس التفاعل الذى يتم فى الجماعة . والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هى اللغة ، فهى الاداة الاولى لنقل كثير من السمات والتقاليد ، ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الاجيال وعبر الجماعات والافراد . فكان المحاكاة هى القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير .

اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسرى فرديناندى سوسر (1857 - 1913) نقطة تحول حاسمة فى تاريخ البحث اللغوى الحديث . فقد كانت رؤيته الواضحة لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارا امام تلاميذه واجيال الباحثين من بعده .

فقد ذهب دى سوسر الى ان اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المترابطة المتكاملة فى نظام رمزى ، ولذلك حاول ان يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخى والاتجاه الوصفى الواقعى ، واخذ على اصحاب الاتجاه التاريخى انهم قد اهلوا - الى حد كبير - دراسة اللغة من واقع نشاط متكلمها الذين يعيشون بين ظهرانهم . ومن ثم فقد حرصوا انفسهم من دراسة هذا الجانب الحى . كما انهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية فى احكامهم على اللغة الواقعية . وهذا لا يتيح ادراك طبيعة اللغة ، فالتسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا . ويستطيع الباحث ولا شك ان يصل الى اعماق ذهن المتكلم مع تجاهل ماضيه اللغوى تجاهلا تاما (50) .

كذلك قسم دى سوسر ظواهر اللغة فى وقت ما الى عناصر موروثية وعناصر مبتكرة . والعناصر الموروثة هى التى يسميها Langue اولسان ويعنى بذلك لغة

(49) « روح الاجتماع » - ترجمة احمد فتحى زغلول - القاهرة 1909 .

(50) ص : 76 وما بعدها من الترجمة الانجليزية لكتابه .

الاتصال وجماعات الرأى كالأحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التأثير فيها .

ويؤكد ليمان ان تصرفات الناس لا تكون نتيجة للملاحظات موضوعية عن العالم الخارجى ، بل تكون فى حقيقة الامر مبنية على التصرفات الذاتية او الصور الذهنية الكامنة فى نفوس الناس . وهذه لا تتكون بطريقة الملاحظة الموضوعية ، ولكنها تتكون نتيجة الاتصال الشخصى بالناس والاصدقاء ، والاتصال الجماهيرى بالصحف والاذاعة المرئية والمسوعة ، وفى اغلب الاحيان تتكون من تفاعل هذين النوعين من الاتصال .

فالمؤثرات التى تحيط بالانسان لا تكون السبب المباشر فى الاستجابة للبيئة ولكن معنى هذه المؤثرات او صورتها فى ذهن الانسان ، هى التى تحدث الاستجابة. ولما كانت البيئة الموضوعية اعظم واعبق من ان تفهم فهما مباشرا ، فلا بد للانسان ان يبسطها ويختصرها فى شكل صور او رموز يستجيب لها فى بساطة وامان. وهكذا يكون الفرد عالما خاصا له ، كما تكون الجماعة عالما خصا لها . ولا شك ان الاتصال هو الذى يلعب اهم الادوار فى تكوين هذه البيئة الثقافية التى تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة .

ويقول ليمان ان الصور التى تتكون فى اذهان الجماهير تكون بعيدة عن الحقيقة الموضوعية ، ويرجع ذلك فى نظره الى عدة عوامل اهمها الرقابة على الموارد الاعلامية والسرية التى تضرب حولها والعقبات المادية والاجتماعية التى تحول دون وصول المعلومات الى الجمهور ، وضعف القدرة على الانتباه والتركيز ، والفقر فى اللغة ، وضغط المكنونات النفسية اللاشعورية ، وتأثير المتاعب ، والتكرار والعنف والرقابة . وهناك ايضا غموض الحقائق وتعقيدها مما يؤثر فى الوضوح، فينشأ سوء الفهم وصعوبة الادراك . وعلى هذا الاساس لا تتكون فى عقول الناس افكار وانما تنشأ اخيلة واوهام ، وهذه هى التى تسيطر على سلوك الناس. والبيئة الثقافية التى نعيش فيها هى التى تحدد لنا ما ندرکه . فنحن لا نرى ثم نحدد ولكن التحديد يكون سابقا على الرؤية والادراك . وملاحظتنا للاشياء والاحداث تتمشى دائما مع الانماط المحددة التى

جماعة بعينها . اما العناصر المتكررة فتتمثل فى الكلام واللغة بمعناها الانسانى Langage ظاهرة عامة تظهر فى هذين المنصرين مجتمعين . واللسان - او لفة جماعة معينة - مجموعة من الرموز يتلقاها الفرد من الجماعة التى يعيش فيها عن طريق السماع . اما الكلام فانه مجموعة من الاصوات التى تمثل نشاط الفرد باعتباره متكلم . ووحدة الكلام الجملة اما وحدة اللسان فهى النمط . ومن ثم فان اللسان ليس مجرد مجموعة من المفردات ولكنه بصفة اساسية نظام يشمل الرموز والانماط وعلى الباحث ان يحاول بلورة هذا النظام بوجوداته وبعلاقاته المتكاملة .

وقد حاول دى سوسير ايضا توضيح الطبيعة الرمزية للغة ، فالرمز اللغوى دال Signifiant يشير الى مضمون يدل عليه Signifié وهدف الباحث ان يتبين عناصر الدلالة المختلفة مكتشفا قدرتها الرمزية . فاللغة عند دى سوسير هى ذلك النظام المستقر عند الجماعة ككل الذى يمكن تبين عناصره من الظواهر اللغوية المتاحة .

نظرية الانماط الجامدة :

ومن جهة اخرى ، فقد كان والتر ليمان من الرواد الاوائل فى دراسة الاتصال الجماهيرى ، الذين انادوا من الدراسات اللغوية ، فذهب الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك ، فهو لا يستطيع ان يفهم العالم او يتصوره بمجرد ملاحظته ، وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذى يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات .

فالعالم الموضوعى الذى تتعامل معه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يقع خارج نطاق احساسنا ، وخارج حدود بصرنا وعقلنا .

ويرى ليمان ان المسائل العامة كالسياسة والحكم والتربية والانتخابات والاصلاحات وغيرها ، تتأثر بما يصدره الناس من احكام نابعة من الصور الذهنية التى يكونونها عن انفسهم وعن الآخرين وهذه هى آراؤهم. اما الرأى العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة فى رؤوس الجماهير ، وهو القوة التى تسمى اجهزة

مرتبطة بالنظام اللغوي قيد الدراسة ، فلكل لغة نظامها الفونولوجي الصوتي .

وقد اوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات اى علم من العلوم هي رموز لا قيمة لها الا في اطار نظام نظري متكامل وان المصطلحات والمفاهيم لا تتحدد قيمتها الرمزية داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكامل .

اللغة والانماط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوي في مكاناته على بعض الوحدات الصوتية ، ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنظم هذه الوحدات ، ولكل لغة نظامها الصرفي الخاص بها ، على ان البحث الصرفي الاعلامي يهدف الى تحديد الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة انواعها وانماطها المختلفة ، وعلاقتها في النظام اللغوي ، من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة ، ومن حيث اسهام هذه الانماط في اللغة الاعلامية التي ترمى الى النموجية والتبسيط . لان العقلية الجاهريية تركز الى الاستعانة بالرموز والانماط والنماذج والتجسيد ، فاللغة الاعلامية لا تتألف من كلماتها الا منتظمة في انماط تتخذها الجملة ، وهنا تظهر دراسات اللغوي الامريكى شوسكى في بناء الجملة والتي تذهب الى ان النظام اللغوي ليس المجموع الحسابي لما سجل من عبارات ، بل هو شئ مجرد له وجوده الفعالي وغير الواعي لدى افراد المجتمع اللغوي وهدف النظام اللغوي هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفي بل عليه ان ينطلق من المادة المتاحة ، لوضع فروض حول انماط الحيل الممكنة ، ثم نختبر هذه الفروض في ضوء الواقع اللغوي .

اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيا النهوض الدراسي بالاصوات ، واللهجات الشعبية ، وعلم النفس اللغوي الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها ، فقد بذل الباحثون في علم الدلالة جهودهم للوصول به الى مناهج البحث العلمى . فاهلوا الابحاث الفلسفية التي لا تؤدي الى نتائج متيقنة . وعملوا على استخدام التجارب الفعالة كطريقة التجارب وقياس الغاير على الحاضر والموازنة والاستنباط المبني على اسس سليمة . وقد اثرت هذه

تصبها البيئة الثقافية في نفوس الجماهير ، ولا يلبث الانسان ان يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التي تصبح بمثابة المرشحات التي تصبغ لون المرئيات والانماط ضرورة هامة للادراك والمعرفة ، ولا يمكن الاستغناء عنها .

وتساعد هذه الانماط على تأكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا ، وتعصبنا لمركزنا الاجتماعى والادبى ، ونقول دائما هذه الانماط شئ طبيعى .

اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر ليمان المجال امام دراسة الاتصال الاعلامي دراسة علمية منظمة ، وخاصة من ناحية تأثيرها في اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكهم . فتوفر فريق من العلماء ذوى الاختصاصات المتعددة على هذه الدراسات ، وكان من بينهم متخصصون في علوم الحيوان والاقتصاد والرياضة واللغويات ، والتاريخ والهندسة والتشريح .

وتخضت هذه البحوث جميعا عن كتاب صدر سنة 1957 بعنوان « الاتصال الانساني » يتجه الى دراسة المخ البشرى ، على اعتبار انه مركز الاتصال والمسيطر عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تنسرات للعمليات النفسية كالذكر والانتباه والادراك وغيرها ، كما درست اللغة من ناحية التعبير عن المعلومات ونقلها . وتفرعت دراسات في الموسيقى والفنون ، ودراسات في الكلام ومشكلات النطق ، وبحوث مستفيضة حول الشائعات وعلم الدلالة .

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات ، الذى وجه الباحثين الى دراسة اللغة كنظام رمزى . وكان للباحث الروسى تروبتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجى » وتطبيقه تطبيقات ناجحة ، فقد اتجه البحث الصوتى قبل تروبتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة تشريحية - فيزيائية ، فانصرف جهدهم الى الصوت نفسه دون النظر في طبيعته كجزء من نظام رمزى متكامل . وعند ما بلبور تروبتسكوى نظريته في الوحدة الصوتية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب الآخر . وعلى ذلك يكون المعنى وتغيره او عدم تغيره فيصلا في التمييز بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية ، وهذا

الدراسة واتجهت في اتجاهات عدة لبحث الدلالة الصلاتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية. ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالا بمنهج البحث الاعلامى ، حيث يفيد في كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة، بحيث تنتقل المعانى كاملة ودقيقة ، كما يفيد هذا العلم في دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتنوير ، ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل ، وليأمنوا شرها ، ويجنبوا الناس خطر الزلل والانزلاق .

اللغة والبحث الاعلامى :

قد اثبت علماء الدلالة ان الالفاظ تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، كما ان اختيار الالفاظ هو الذى يساعد على التحكم في اتجاهات الناس وتصرفاتهم ، ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات ، وتكوين الآراء لكسب التأييد ، وتعبئة الشعور عن طريق الوعى والتنوير ، مما يؤدي الى تصرفات اجتماعية سليمة ، فان نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التى يفيد منها هؤلاء الخبراء .

اللغة والبحث الاعلامى :

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق بمنهجه في تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة ، بحيث اصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجواهر يطبقون الاسس المنهجية للتحليل اللغوى او تحليل البنية اللغوية في بحث عبطيات الاتصال بالجواهر المختلفة ، فبدأ التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطويرية لها ، وتوسلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه في اطار المجتمع. واخذ الباحثون في الاتصال بالجواهر يبحثون في اللغة باعتبارها عنصرا اساسيا في عملية الاتصال الاعلامى .

فاللغة اذن هي العروة الوثقى التى جعلت الاتصال عملية اجتماعية ، وهى التى تحدد الكيان الاجتماعى للاتصال الاعلامى ، او اضطرابه في مواجهة المعايير التى يفرضها المجتمع في المظهر والسلوك وعلى ذلك فان منهج البحث الاعلامى في اللغة ، انما يهدف الى البحث في ماهية اللغة ، من حيث كونها اداة اتصال

يستعملها المشتغلون في الاجهزة الاعلامية ، بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص في اللغة الاعلامية بمستواها العلمى الاجتماعى ، باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات ، مستقلا عن اللغة بمستوييها التدويى الفنى الجمالى ، والعلمى النظرى التجريدى ذلك ان اللغة الاعلامية ، لا تهدف الى مناقشة حاسة الجمال لدى القراء ، بل على العكس من ذلك ، تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة .

وقد قال هربرت سبنسر ذات مرة : « ان لدى القارئ او المستمع في اى لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير الرموز المعروضة عليه والتى تتطلب جزءا من طاقته الذهنية، اما ترتيب وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءا اكبر من المقدرة ، والجزء الباقى يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها ، اما الطاقة الذهنية الاقل حيوية فهى لفهم هذه الفكرة » .

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بأنها سيارة او حافلة الافكار التى يكون من الطبيعى ان الاحتكاك والقصور الذاتى في كل احوالها يحدان من كفاءتها ، والهدف الاساسى في الموضوع . وهو ليس الهدف الوحيد ان نقل من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة » .

على ان المنهج الاعلامى في اللغة ، يستخدم طرقا عامة يشترك فيها مع غيره من البحوث اللغوية ويستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التى يعرض بدراستها - كما سترى - وهذه الطرق جميعا انما هى من ثمرات البحث الحديث . لان اللغة الاعلامية ليست بعنا لنظريات قديمة ، او عرضا لنتائج العلوم التطبيقية على المجال الانسانى ، ولكنها افادت من ذلك جميعا طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو من الرواد الذين فطنوا الى وجوب البحث في التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكى يساير الهجاء مقتضيات الحياة ، ولكى يصور في الوقت نفسه الموقع اللغوى ، والذى لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبديهي ، ولا بد من الوصول الى رموز ، في حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصور ذلك الواقع اللغوى ، ولا بد في الوقت نفسه من الانتكاء على الاختزال ، افادة من الوقت الضائع سدى في الاملاء والتدوين والطباعة .

الفصل الثالث

اللغة في ضوء البحث الاعلامي

تحتل اللغة موضعا رئيسيا في عملية الاتصال الاعلامي ، التي تسرى في كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية من اهم عناصر عملية الاتصال الاعلامي بابعادها النفسية والاجتماعية والثقافية .

وإذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال في :
(من ، يقول ماذا ، لمن ، وكيف ، وبأى تأثير)

فان اهم عناصر الاتصال يتمثل في « اللغة » او « الرسالة الاعلامية » ولما كانت « الرسالة » تمثل الوسائل التي يتصل من خلالها فرد بأخر او جهة بأخرى ، فان بحوث الاتصال تعنى بوصف هذه الرسالة بدقة وان تفسر ببصيرة نافذة .

ولقد انفق العلماء جهودا مضمينة ووقتا طويلا ، في بحوث الرسالة الاعلامية من حيث كتابتها وتحريرها ، وفنون صياغتها حتى انه يخيل للجزء ان زاوية الرسالة هي الزاوية الوحيدة التي شغلت الباحثين ذون الزوايا الاخرى . غير ان المواقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم ، فهي مواقف سلوكية تقدم فرما مضطردة ومتزايدة للمشاركة في الخبرة ، وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم وافترض الفروض بشكل عام ، للسيطرة على البيئة من خلال استخدام الرموز (51) .

والمنهج الاعلامي في اللغة انما هو اسلوب علمي يستخدم لوصف عملية الاتصال الاعلامي ، وصفا موضوعيا منظما على اساس كمي للمضمون الظاهر للاتصال اي لمجموعة المعاني التي تظهر من خلال الرموز المستخدمة في عملية الاتصال . فهو اذن منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة في عملية الاتصال الاعلامي بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لمحللين مختلفين ان يطبقوها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج .

اما التنظيم الذي يقتضيه المنهج الاعلامي ، فيعنى تحليل الرسالة الاعلامية على ضوء حصر كل الفئات

المناسبة لموضوع التحليل ، كما يعنى ان يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية ، او فرض لغوي يمكن من خلال التحقق منه ان يكون لنتائج تحليل اللغة الاعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد .

ويعنى الاساس الكمي للمنهج الاعلامي انه من اكثر الخصائص تمييزا للمنهج الاعلامي في اللغة ، مما يميزه عن المناهج اللغوية الاخرى . ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عددية لفئات التحليل ، اذ يتخذ التقرير احيانا شكل كلمات كمية .

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع ، انما تقع في كونها من جهة ضريا من السلوك البيولوجي الخصيص بأدى المعاني ، ناشئا تلقائيا من المناشئ العضوية الاولى ، وفي كونها في الوقت نفسه - من جهة اخرى - تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور ، وان يجرى عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم ، باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة ، ان شئت فهي مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلي الذاتي هو الوجه والهدف لنشر اللغة . ولكن الذي لا شك فيه ايضا ، انها تهم اول ما تهم شخصا آخر - المستمع « المستقبل » - او اشخاصا آخرين ، يوجه اليهم المتكلم « المرسل » الحديث ، فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بتقدير ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (52) .

وعلى ذلك ، فان لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة ، بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والاشارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هي وسائل للتفاهم .

اي وسائل اعلامية :

اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما في اللغة من معلومات وتقويم دقتها على اساس كمي بالارقام ؟

(51) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجواهر » - ص : 135 .

(52) مجلة « اللسان العربي » - العدد : 3 - ص : 55 - الرباط - 1375 هـ .

وكيف نفرق بين اصوات او حروف تعطى قدرا كبيرا من المعلومات واخرى تعطى نورا يسيرا ؟

ذلك المنهج الاعلامى فى اللغة هو موضوع نظرية الاعلام . وهى نظرية حديثة ترتكز على اسس رياضية راسخة . وقد وضع اساس هذه النظرية العالم الامريكى « كلود شانون » عام 1949 ثم ما لبث ان تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين فى مختلف ميادين الفكر والبحث العلمى : علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلاسفة وعلماء النفس . وتقوم هذه النظرية على اساس ان اللغة هى «شفرة» ، اى نسق اصطلاحى من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامى .

وحجرا الزاوية الاعلامى الرياضية هو مفهوم عدم التحدد اى الغموض . فان اى مجموعة من الحروف نسطرها او اى مجموعة من الوحدات الصوتية « الفونيمات » نطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديدها . فقد تكون ذات معنى ، وهنا يزول عنها عدم التحدد ، وقد تظل بلا معنى فيكتنفها الغموض او عدم التحدد . ومعنى ذلك انه للكشف عما يكون هناك من معنى او لقياس حجم المعلومات فى جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولية الحروف الابجدية ، ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد فى اللغة ، والحرفين والثلاث .. الخ ، واحتمال تجاوز حرفين معا والثلاثة حروف الخ . ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى . فحروف الابجدية هى الذرات او اللبنة الاولية التى يتألف منها بناء اللغة فى شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل . ولكن الملاحظ - كما يقول كوندراتوف - ان معظم الحروف المفردة فى اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوى من الحروف يحمل معنى ، وهذا هو ما يسمى بخاصية الفضل فى اللغة اى الافراد او الزيادة فى الاقتصاد .

فاللغة العادية ليست كلفة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى ، فحرف (ا) فى الكيمياء يعنى الاكسجين بينما لا يعنى شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحى ، فيبدو كأنه فضلة او زيادة لا يبرزها الاقتصاد . وكذلك الحرفين (اب) قد تعنى (اب) ، و (ام) تعنى (ام) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على ان هذه الزيادة فى اللغة والتى لا يبررها

الاقتصاد تقتضيها الضرورة ، فهى « حد الامان » . وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل فى كل لغات الانسان العادية تتراوح ما بين 70 و 80 % وتزيد هذه النسبة فى لغة الفنون المتخصصة ، وذلك لان حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصصة ايسر من القراءة الشاملة ، او انها افقر منها لغة وتقل هذه النسبة فى لغة الادب ، ذلك لان الادب فيه تلويح وتصوير وثناء وخيال .

ومن ذلك يبين ان احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة فى الكتابة او الكلام ليست احتمالات متساوية ، كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة . ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ، ثم دراسة احتمالات تجاوز كل حرفين على حدة وكذا كل ثلاثة حروف واربع ... الخ .

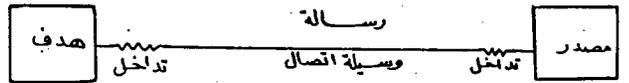
واحتتمالات الفواصل بين الكلمات والجمل ، واحتمالات تجاوز الحروف المتحركة والساكنة وقواعد النحو والبناء اللغوى .

ولكن اللغة ليست فقط حروفا متجاورة وكلمات بينها فواصل ، بل هى اشارات لها ما وراءها ، اى لها مدلول او معنى . فإى بناء لغوى فارغ من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفة الاصلية للغة وهى التفاهم او نقل المعلومات اى واقعتها . ويختلف معيار التحقق من اللغة هل هى ذات معنى ام لا باختلاف ميدان استخدامها ، فالتجربة هى معيار الحكم فى العلوم الطبيعية ، والفهم المشترك معيار الحكم فى اللغة العاملة بين الناس كما انه معيار الحكم فى لغة الاعلام .

وتأسيسا على هذا الفهم تعنى نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات التى يمكن لمخ الانسان ان يستقبلها ، ويتقضى ذلك دراسة معدل الوارد من المعلومات الى المخ فى وحدة زمنية معينة وهو ما يسمى بسعة الجهاز العصبى او طاقته . ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من اعضاء الاستقبال الحسى وكماقتها فى الاستجابة واوجه الاختلاف والتمايز بين كل منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبى فى الاستقبال والاختزان للمعلومات ذات المعنى سواء فى مجال الحديث الشفاهى او القراءة او السرعة اللازمة

وتختلف هذه النسب ايضا على اساس الخصائص الفردية للانسان وحالته العضوية والنفسية ودرجة التدريب ،، الخ . (53) .

وترتكز نظرية الاعلام عند « شاتون » على ان عقل المصور هو المنبع ، وان المرسل يستخدم اللغة والاشارة لنقل الرسالة ، فيتلقها المستقبل ، ويديرها بعقله وهو المصب او الهدف . يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه النظرية لعنصر التداخل والتشويش ، الذي يعوق عملية الاتصال الاعلامي وقد ينشأ التداخل من المرسل او الرسالة او الوسيلة او المستقبل ، فتتعد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر الى الهدف . ويمكن ايضا ذلك بقولنا ان حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير ، تعتبر تداخلا في الاتصال الصحفي كما ان سوء الاضاءة ، وعدم ارتياح القارئ لاسباب صحية او نفسية ، قد تعوق الفهم ايضا وتعتبر تداخلا . ومن الامثلة على ذلك ايضا ، دق جرس الهاتف اثناء الاستماع الاذاعي او حدوث ضجة مفاجئة ، وكلها تمثل فكرة التشويش او التداخل . ولا بد للاعلامي الناجح ان يدخل هذه الامور جميعا في اعتباره . وقد يكون العيب في ارسال التلفاز او الاذاعة نفسه ، او عيب او مرض يعترى المستقبل . ويمكن تصوير التداخل هكذا (54) :



وقد يعالج التداخل بالاعادة او التكرار حتى تتاح الفرصة للمستقبل لتلقى الاشارة ، غير ان المرسل يراعى تجنب التكرار الممل البطن كما يتجنب الاسراع الشديد . ويعتبر مفهوم رجوع الصدى من الناهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية ايضا . وتعتبر هذه الارجاع اختباراً لسلامة الدائرة ، او ما يصيبها من اعطال . وينفس الطريقة نجد ان رجوع الصدى في

الاتصال الانساني ، يعطى للمرسل فكرة عن استجابة المستقبل للرسالة او رفضه لها (55) .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه :

اولا : المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر سالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثاني هو التعبير عن الفكرة وصياغتها في رموز لتكوين الرسالة او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذي يفك رموز الرسالة ، كما تلتقها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة . والعنصر الرابع هو الاستجابة ورجع الصدى الذي قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية . واذا وصلت هذه الارجاع ، وفسرها المرسل تنسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل ، وتتكرر هذه الدورة - بطبيعة الحال - الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية ، هي تسيح البناء الاجتماعي والثقافي نفسه .

ومن جهة اخرى يذهب علم « السيموطيقا » او نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية اي متواضع عليها بين الناس وكونها تستلزم وجود عنصر المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعي والادراك المقصود ، لان وظيفة الاشارة اعلامية اي نقل المعلومات . اما العلامة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة .

ويميز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة انماط من العلاقات ، علامات دالة « علامات التطابق او العلامات المصورة » وتتسم بأن المعنى او المحتوى والصورة الخارجية او التعبير متطابقان ومتماثلان ، والنمط الثالث علامات الاتصال او الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والدقيق لهذه الكلمة . واكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هي من هذا النمط على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا في اطار هذا النسق دون غيره . والاشارات او اللغة

(53) المرجع السابق .
(54) الدكتور ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » - ص : 143 .
(55) ايضا المرجع السابق - ص : 143 .

في عمومها سواء كانت الفاظا ام حركات لها شكل ومعنى او وعاء ومحتوى . وقد يتفق الشكل ويختلف المعنى ، وجوهر اللغة في معناها اساسا (56) .

ويقرر علماء « السيميوطيقا » (57) ان لغة الاستعمال المنطوقة هي نسق من الاشارات نشأ في المجتمع وللمجتمع الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم . فلفة الكلام الشائعة ليست كما تبدو في ظاهرها لغة بسيطة . انها تبدو لنا كذلك فقط لانتا تمثلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكنا في قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعى وادراك طبيعية العملية ، وان كان هذا هو ما يتوفر لنا بعد ذلك في سنى الدراسة بالمدسة حين نتعلم القراءة والكتابة.

ان لغة الانسان نسق اشارى بالغ التعقيد ، قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعى المطلق وهو ما لا يتأتى من اى نسق اشارى لغير الانسان . ومن ثم فهى لغة اكثر ثراء وغنى واكثر اقتصادا . ويرى علماء السيميوطيقا انها اصبحت كذلك لانها لغة ارتقائية .

ونخلص من ذلك ، الى ان اللغة تتميز على غيرها من الرموز والنظم الاشارية بانها في متناول الجميع ، وهذا يميزها عن العلم والفن او الادب اللذين يتطلبان تدريبا خاصا ، فالعالم رموزه وصيغه وارقامه في علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والفلك . المنطق وغيرها ، ولا يمكن فهم الرياضة الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريب خاص .

اما اللغة العملية ، اللغة اليومية ، اللغة الاجتماعية ، لغة الفن الاعلامى فتمتاز بالشمول كما انها لغة طبيعية تتعلمها منذ الطفولة ، في حين ان لغة العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التى لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات من المران والتدريب (58) .

اللغة الاعلامية :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها

المستوى التذوقى الفنى والجمالى ويستعمل في الادب والفن ، والثانى هو المستوى العلمى النظرى التجريدى ، ويستعمل في العلوم ، والثالث هو المستوى العلمى الاجتماعى العادى وهو الذى يستخدم الصحافة والاعلام بوجه عام . وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع انساني ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو تقارب المستويات اللغوية في الاول ، وتباعدها في الآخر . فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التاليف بين المستويات العلمية والادبية والعلمية ، وهى غالبا ازهى العصور وارقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى في المجتمع ، وهذا يؤدى الى التدهور والاحتطاط والشيوخة والانحلال .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى في عملية التراكم التى هى اهم عنصر في الحضارة الانسانية (59) .

وتعتمد اللغة في صحتها وقوتها على المستوى العام للغة القائم على التاليف بين المستويات العلمية والادبية والعملية لان الحديث اليومى حين يحسنه افراد المجتمع ينشط اللغة ويعيد لها الشباب . فليس الكلام الانساني من خلق العلماء او اللغويين ، بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (60) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم في مدرسة ، ومن لا يكادون يحسنون كتابة او قراءة .

حقا ان العلماء والادباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهر ذلك الجمال الرائع في النصوص

(56،57) المرجع السابق .

(58) د . ابراهيم امام : « دراسات في الفن الصحفى » - ص : 40 - القاهرة 1972 م .

Imam, I. "The Language of Journalism" (1969)

(59) د . احمد ابو زيد : مجلة « علم الفكر » - العدد الاول بالجلد الثانى - 1971 م .

(60) « اللغة بين القومية والعالمية » - ص : 33 .

الادبية ، ولكننا نلاحظ ان اندر النويرات واروعها هي تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية او تعهد .

على ان جذور اللغة لا تعمق الا فى التربة العامة التى منها تستمد اللغة عصرها وغذاءها ، هذا اذا قدر للغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى . فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الدب ، وتصبح ائبه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها واشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى الجامع اللغوية بأوروبا ، فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبى ، وقد يفرض النصوص التى يجب ان تعلم فى المدارس ، ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائج فى الاسواق ، وعلى الخطاب العادى فى البيوت وبين افراد الاسرة (61) .

وقد حدث هذا لاوروبا فى العصور الوسطى عند ما كانت اللغة اللاتينية مستاثرة بالدراسات الادبية ، وبينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة ، لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت فى عصور مظلمة ، وباتت تتردى فى الجهل والتعصب والتفانير والتناذب . وفى الوقت نفسه ، سادت فى العالم الاسلامى آداب رفيعة ، وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والمحكومين ، مستعملة فى الآداب والعلوم وفى الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مغزعة ، كما كانت فى اوربا بين اللاتينية والإنجليزية او الالمانية مثلا ..

وقد كانت اللغة العربية فى اتعس ايامها واحلك عصورها — فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر — تعانى من الانفصام العقلى فى المجتمع ، حيث سادت لغة ادبية منمقة متكلفة كتقليد سخيف للطريقة الفاضلية فى الكتابة ، عقيمة مصطنعة لم يالفها الشعب ، اما اساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامح ان يقلد الكاتب اسلوب

الحريرى فى مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المترادفة ، وليس على من يريد ان يكتب فى موضوع الا ان يأخذ بنصبيها .

ومن جهة اخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة بحيث لم يعد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية واصبح مرضا من امراضها الوافدة المنتشرة ، وغلب على الناس استعمال الالفاظ فى معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى عرفت بها العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها واصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من ان يعيشوا فى الحياة ومعانيها (62) .

وصفوة القول ان الخضوع السياسى والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الادب كان لها جميعا اثرها فى اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة فى تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هى اعراض رسبية مصطنعة متراكمة ، يصبح المجتمع المريض والحضارة المنحلة . وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى اوربا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة ان يكون ظهور اول صحفى مصرى وهو رفاة الطهطاوى فى عصر محمد على مهتما بنهضة علمية ، والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (63) . فقد كانت اللغة الموروثة التى كانت تؤدى اغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جحود وضيق فى الافق ، وحملت الحياة الحديثة فى اوربا الى العرب آلات جديدة وافكارا جديدة ومشاعر جديدة ، حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب

(61) المرجع السابق — ص : 23 .

(62) محمد المبارك « خصائص العربية » — ص : 6 .

(63) د . ابراهيم امام : « دراسات فى الفن السحنى » — ش : 44 .

النشاط الانساني في الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من الوان وصور جديدة ، فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معاني هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاحة بين الامرين عميرة صعبة وكان ينادى بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاضطلاع به فكان على جمال الدين الافغانى ويعقوب صنوع والشيوخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الاوربية ان يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الادب ، وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنوع فى وسائل الاتعاق الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية ، والعناية بالاخبار النائية . وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحيفة تتلام مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط ، دون ان تهبط الى العمامة فى اللفظ ، او السوقية فى الفكر (64) .

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية ، لاننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات ، وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الادبى والعلمى للغة .

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى ، تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والاشراق ، وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته . فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى ، الخ .. هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والوضوعات العامة . ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيعى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والامكار اليهم ، فهو اداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته . ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام

والتغيير والتوجيه والتسويق والامتاع والتنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فلغة الفن الصحفى تختلف عن كل هذه جميعا لانها تتضمنها كلها ولا تقتصر على اى منها ، لان القراء او جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ، ولان الصحفى يكتب لكل الناس فى كل الاوقات - وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت - فانه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع (65) .

وليست على هذا الاساس ، البيئة التى يحيا فيها الانسان ، يعمل ويبحث ماديا فقط ، بل ثقافيا كذلك . فاعمال الانسان وكيفية ادائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوى لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات الثقافة فى التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحى بها .

والمشكلات التى تبعث على التعمى والبحث حول الرسالة الاعلامية انها تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ، ولا تقتصر الاعضاء التى تختص بهذه العلاقات ، على العين والاذن واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة ، مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا او جامدا ، وانما هو عملية دينامية متحركة ، بحيث تحتل - اللغة - فى مركب العناصر التى يتألف منها المحيط الثقافى للعملية الاتصالية ، مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدى وظيفة ذات خاصة ايضا فهى فى حد ذاتها نظام اعلامى ، وهى : الاداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة ، كما تتغلغل الالفاظ خلال الصور ومضوناتها فى آن واحد ، وتتميز بتكوين خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة ، فاللغة بهذا المعنى ، هى الوسيلة التى تتقبصها الثقافة فتبقى وعن طريقها تنتقل ، وهى ذلك التكوين الذى يديم بقاء الحوادث ، ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى ، فان الافكار او المعانى لا وجود

لها الا في رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية ، وبذلك تشكل تلك الرموز ، نوعا من البقاء الضروري لوجود الاشياء الرموز اليها ، بمد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزي عنها (66) .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم الداخلى النفسانى والعالم الخارجى ، تتجسم في التعبيرات المختلفة التى توجد بوجودها ، وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلية لها ، وبما ان الموضوع والذات ، اى المفعول والفاعل ، يلتقيان في الشعور الفردى ليتحققا ، كان لزاما على الدراسات النفسانية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة من تقنى (لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها) ولكن حقيقتها تندمج في حقيقة تاريخية ، التاريخ الفكرى والنفسانى والصناعى والجغرافى للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة ، ونقصد هنا بالتاريخ الماضى طبيعا ، ولكنه حق يسترسل من الحاضر مع التأكيد بان الحاضر لا ينحصر في الحال ، بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالماضى » اى الحال والمستقبل ، لان ما يقوم به الانسان في الحاضر انما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر ، فالمستقبل ليس للبعيد كما ان الحاضر ليس منحصرا فيها قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة ، بل اسم فاعل ، اى انه الزمن الذى يقع فيه فعل فعليا (67) .

فالحاضر يختلف عن الماضى ، لان الماضى قد انتهى كحركة مباشرة ، ولما يبقى الا في اشارة او في ذاكرة ، ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقصر الآمال .

فالتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كى يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم ، لا غاية في ذاته . ان المرسل يرمى من وراء الكلام ان يفهم المستقبل انه يريد تواملا .

والانسان هو الحيوان الذى يتكلم ، اى يصنع العلم بالالفاظ ، فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة

مواصلة واتجاه ، واما تحديد لسلوك ، فردى او جماعى ، فالكلمات كالأوراق النقدية والأسلحة او الخاتم السحرى في يد الإنسان ، يكتبه ان ينطق ليحدث شيئا في شعوره ، ورد فعل شعور الآخرين ، ومن هذا التجاوب الشعورى ، ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية ، فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا ، وحيثا اصلاحا . واذا لم يتسبب عنه شئ محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين ، او عند متكلم آخر ، مرة اخرى ، فالكلمة كالدرهم الذى يحتفظ بقيمته التوالية سواء انتقل الى بائع او الى مشتر ، او لم ينتقل : « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » (68) .

فالبحث في الكلمات من حيث تركيبها المادى ، ومدلولاتها المحسوسة ، وآثارها النفسانية ، يلتقى في ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاعلام او الاتصال بالجمهور ، وحول المعرفة .

ومن هنا كان التأمل في اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة في نفس الوقت ، مادة للبحث واداة له ، اذ ان العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية ، اى ليست علاقة تجاور في المكان او تصاحب في الزمان ، بل هى علاقة داخلية ، بمعنى ان الفكر ليس قبل الكلام ولا هو « خارج » الكلام انما هو في الكلام . وكذلك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامى ، وانما هى داخله ، تصوغه وتحدده بقدر ما تقيمه وتشكله .

فاللغة ليست شيئا خاصا بفرد ، بل ملكا مشتركا ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات ، وبين ابرازها « كحداث » بين المعنويات والماديات ، بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لفظ العقل واللغة ، او « النطق » و « القول » في اليونانية كما اشار الفارابى . والفلاسفة الرواقيون كانوا يرون — كبعض الفلاسفة المعاصرين — ان الفكر واللغة متطابقان ، وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات

(66) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 54 — المغرب — الرباط : 1385 هـ .

(67) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 6 — ص : 15 — الرباط 1388 هـ .

(68) د . عثمان امين : « الفلسفة الرواقية » — ط 2 القاهرة 1959 — ص : 119 — 120 .

المتعاقبة التي تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلقوم، والتي يستطيع فهم الانسان ان ينطق بها ، كما تستطيع الكتابة ان تمثلها ، فان مثل هذه الاصوات قد لا يكون لها معنى ما ، ومن ماهية اللغة ان تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملفوظ : فهناك « كلام داخلي » نفساني يكفى لاستعمال الفكر، وليس « الكلام الخارجى » الملفوظ سوى مظهر من مظاهره .

اللغة هي « الواسطة » العظمى والصغرى في الغياب وفي الحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون

اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين ، اى دعوة ودعاء ، فالمرء يعطى كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ويعيد سلوكه ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل لا كلمة له ، رجل ينقصه الضمير ، نعنى ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير ، الى مستوى العناصر « الانطولوجية » ، ربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (69).

ان اللغة — داخل هذا الاطار — تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع ، لانها اهم وسيلة يلجأ اليها ليلم التفاهم بين الافراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والادبية والفنية .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة او الثقافة .. ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيراً واضحاً وصادقاً من الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة في المجتمع الذى توجد فيه . مفردات اللغة والاساليب والتصورات وبناء الجملة والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك في المجتمع الصناعى الحديث الذى يتميز بتعدد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور اعضائه بفرديتهم الذاتية ، تختلف اختلافاً جذرياً عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها في المجتمع البدوى القبلى الذى يعيش

على الرعى والترحال والذى يرتبط الفرد فيه ارتباطاً وثيقاً بالجماعة القبلية التى ينتمى اليها بحيث تكسب شخصيته تفنى وتذوب تماماً في تلك الجماعة . وهذه مسألة كثر الكلام فيها — على حد تعبير الدكتور احمد ابو زيد (70) — ولكن حديثنا عن الاعلام واللغة يرتبط بما يمكن ان يسمى « حضارة اللغة » هي فكرة مستعارة من عبارة عارضة وردت في محاضرة للفيلسوف الرياضى الفرد نورث وايتهيد ونشرها في كتاب بعنوان « انماط الفكر » (71) ، وتعنى بأنه ثمة حضارة معينة هسي حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطاً قوياً باللغة بحيث يمكن القول انه لولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة او لظهرت حضارة اخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة . فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية — بما فيها القرود العليا التى تعتبر اقرب الكائنات العضوية اليها — بالفكر واللغة. وعلى الرغم من ان القرود العليا بالذات تعيش في تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها فانها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه نحن من هاتين الكلمتين .

ومن هنا تختلف الثروة اللفظية من لغة الى اخرى، بل في اللغة الواحدة تختلف هذه الثروة اللفظية من عصر الى آخر بالنسبة لحياة اللغة نفسها . ذلك انه بقدر ما تزيد حاجيات المجتمع وتثرى معانيه يزيد عدد هذه المجموعات الصوتية حتى تكون متجاوبة تماماً مع هذه المعانى وتلك الحاجيات .

وعلى ذلك تصبح اللغة — التى قال عنها ابن جنى في « الخصائص » ، والجرجاني في « التعريفات » انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم — هي اداة التفكير الانساني ، فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهاته ، كما تصبح اللغة بالنسبة للاعلام : « الرسالة » التى يتم من خلالها نقل الانكار والآراء والمعلومات من المرسل الى المستقبل .

(69) مجلة « دعوة الحق » — العدد 5 — السنة السادسة — 1382 هـ المغرب .

(70) مجلة « عالم الفكر » — العدد الاول — المجلد الثانى — 1971 م الكويت — ص : 13 .

(71) المرجع السابق ايضا .

Whitehead, A.N. "Modes of Thought"

ولا يتأتى هذا التعاون الفكرى ، الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العملى الاجتماعى .

فاللغة الاعلامية اهم مظهر للحفاظ على كيان المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يسدل على هذا الشئ او الفعل (74) ، وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كائنة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

تطبيقات المنهج الاعلامى فى اللغة :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان المنهج الاعلامى فى بحث اللغة ، يسهم فى الكشف عن اساليب الدعاية عن طريق تحليلها الى فئات مثل التحليل على اساس الموضوع او الصياغات المختلفة للمضمون او على اساس الدعوى او مقصد الاتصال واثره . وقد ثبت ان تحليل الاتصال على اساس فئات المضمون افضل من تحليله على اساس ما يفترض من مقاصد وآثار .

وقد استخدم هذا الاسلوب فى تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود اربعة اهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء هى : اثاره الكراهية لدى العدو ، والابقاء على صداقة الحلفاء والابقاء على صداقة المحايدىن وضمان تعاونهم ان امكن ، والقضاء على الروح المعنوية للعدو .

واستخدمت فئات اخرى فى تحليل الدعاية وهى ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهى الحيل الخاصة المختفية التى لا يكون الناس عادة على وعى بها . ومن ذلك ان معهد تحليل الدعاية الامريكى قد اكتشف فى سنة 1937 ان هناك سبع حيل رئيسية يستخدمها خبراء الدعاية ، فى تكوين رموزهم اللغوية للتأثير فى الناس ، وكسبهم الى صفهم . اما الحيلة الاولى فهى استعمال الفاظ التعميم البراقة لتهوين

فهنالك من المجتمعات الانسانية من لا يزال يعيش فى عالم المادة وفى دنيا الامور الحسية ، لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدود من الالفاظ اللغوية تسد حاجة دنياه وتتجاوب مع ما يدور فى عالمه ، وهناك من استطاع - لعوامل مختلفة - ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا اخرى تتصل بعالم نفسى روحى او معنوى فيضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى - على ضوء تجربته - تشرح مدلول هذه الامور النفسية او الروحية او المعنوية (72)

من ذلك نجد انه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها او حين نسمع عنها ان تطورها رهن بتطور المجتمع ، بحيث تتجه اهداف اللغة فى اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل الذات ، حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمرحلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث. وهو الهدف الاجتماعى والترابط الانسانى والتفاهم البشرى (73) .

وقد لخص العالم « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

- 1 - انها تجعل للمعارف والافكار البشرية ، قيا اجتماعية بسبب يقوم استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاريه .
- 2 - وانها تحتفظ بالتراث الثقافى والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .
- 3 - وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .
- 4 - واذ بها تزود الفرد بأدوات التفكير ، وما وصل المجتمع البشرى البصر الى ما هو عليه الآن ، بدون التعاون الفكرى لتنظيم حياته .

(72) د . حسن عون : « دراسات فى اللغة والنحو العربى » - القاهرة 1969 م - ص : 8 .

(73) مجلة « اللسان العربى » - العدد : 3 - ص : 55 - الرباط - المغرب 1385 هـ .

(74) عبد العزيز عبد المجيد : « اللغة العربية » - ج : 1 - ص : 19 - القاهرة 11 .

زمنية متعاقبة على اثاره استجابات انفعالية بواسطة رموز لا معرفية تختلف باختلاف نوع الجمهور .

اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه المنهج الاعلامي الى دراسة الاسلوب الذي يؤثر في قابلية اللغة الاعلامية للقراءة او الفهم ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هي العماد والاساس ، بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة ، فكان على المنهج الاعلامي ان يقيس قابلية الرموز المطبوعة او المذاعة للقراءة او الفهم ، من حيث العوامل التي تميز الرموز التي يسهل او يصعب قراءتها او فهمها ، والاختلاف في الاسلوب ، ومدى سرعة القراءة لدى القارئ ومدى التركيز على الكلمات او مجموعات الكلمات ، ومدى ما يستوعب في ذاكرته من المعاني المؤقتة حتى ينتهي من قراءة الجملة . وكان المنهج الاعلامي يركز في البداية على « الكلمة » في قياس قابلية القراءة ، فقسمت الدراسات الاولى القابلية للقراءة المواد الى نسبة الكلمات « السهلة » الى « الصعبة » الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقننة للكلمات مثل قائمة ثورنرايك . وفي السنوات التالية اضيفت عناصر اخرى لبحثها مثل - طول الجملة - الجملة البسيطة والجملة الناقصة التي لا تحتوي على فعل والجملة ذات الفعل فقط ، ثم تبع ذلك ما لا يقل عن 82 عنصرا من عناصر الصعوبة التي زعم بحثها ، اختير منها اخيرا خمسة على اساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهي : الكلمة المختلفة ، والكلمات الصعبة المختلفة ، والنضائر الشخصية والجملة الناقصة التي تتضمن حرفا للجرا ، وطول الجملة . ووضعت في صيغة تعد تعبيرا مباشرا عن القابلية للقراءة على اساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة . وفي نفس الفسحة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة اخرى منتشرة مجموعة اخرى من ثلاثة عوامل هي : طول الجملة ، والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصل .

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ، ذلك انه يتحقق من صدقها عن طريق القارئ العام لاختبارات الفهم . وهذا القارئ يمثل جماعات تعليمية

القارئ ، واخذه على غرة ، بحيث يتأثر ببريق اللفظ الطنان ، فيخدعه ذلك عن التفكير او المطالبة بالادلة والبراهين . فهناك مثلا الفاظ : الصدق ، والشرف ، والحرية ، والتقدم ، التي تنتشر في انحاء الجمل والعبارات ، وهناك ايضا الكلمات الدينية والقومية التي يتوسل بها الدعاة ، مثل : الديمقراطية ، والاسلام ، والمسيحية ، والدين ، والشرف ، والامة ، والوطنية ، والحرية ، والقومية ، والانسانية ، وغيرها .

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة . فهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطة موضوعة » ، وهناك « تعبیر حظوظنا » ، وقد استعملت هذه العبارة الاخيرة لتغطية مرارة الانسحاب في حرب فلسطين سنة 1948 ، وتستعمل احيانا عبارة « عاشرته معاشره الأزواج » للإشارة الى جريمة الزنا او هتك العرض . وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة او المتعة لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب .

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضوع مناسب وتثبيته في ذهن الجمهور وتبسيطه له واطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامة وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخط الأمور على الجمهور وتقديم الدعاية في ظل معلومات اخرى يصدقها واستغلال الظروف النفسية للجماهير التي تجعلهم اكثر تصديقا لما يقدم لهم .

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب ، وانما تستعمل كذلك للخداع والاثارة والتعمية وايقاظ الغرائز . فقد تستعمل اللغة للتعبير عن المعارف والاحداث بدقة ووضوح فهي لغة اخبارية ، كما هو الحال في الرياضة والعلوم والاعلام ، وقد تستعمل اللغة ايضا لاثارة العواطف والانفعالات في نفوس الناس كما في الدعاية .

فالرموز اما معرفية تؤدي الى معلومات ، واما لا معرفية تؤدي الى انفعالات او اوهام .

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حصرم مختلف انواع الدعاية الموجهة الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة في نفس الوقت او في فترات

(75) د . املم : « الاعلام والاتصال بالجماهير » - ص : 82 .

نظرية فليس في التجريد :

وافادة من هذه البحوث ، أصبحت اللغة الاعلامية تفضل ان تكون مفرداتها خالية من ازدواج المعنى والتورية والغموض .

وقد صور لنا كوزر ومن بعده هايكلو عملية تجريد اللغة من عوامل الغموض والتورية ومحاولة التخصيص فتحدثنا عن « سلم التجريد » وهو السلم الذى يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد . وعلى سبيل المثال فان السلم يرتفع صعودا على هذا النسق:

1 - ان كلمة « ببسى » وهو اسم البقرة المحددة او البقرة (1) يجعلها تختلف عن البقرة (2) او البقرة (3) الخ ..

ب - كلمة البقرة .

ج - كلمة « ماشية » التى تصنف البقرة « ببسى » مع سائر الحيوانات الاخرى التى تشاركها نفس الخصائص .

د - كلمة « الموجودات » او « الاصول » او « الممتلكات » الزراعية التى تصنف « ببسى » مع غيرها مما يشترك معها فى هذه الخصائص .

هـ - كلمة « الاصول » .

و - كلمة « الثروة » وهى اعلى مستويات التجريد فى هذا السلم .

وقد اكتشف الدكتور رودلف فليس معادلة او صيغة لقياس يسر القراءة او ما اصطلح عليه بكلمة « الانقرائية » كما اكتشف معادلة اخرى لقياس « الجانبية الانسانية او الاهتمام الانسانى » . وقد بنى معادلته الاولى عن الانقرائية على اساسين :

الاول : متوسط طول الجملة .

الثانى : متوسط طول الكلمة محسوبا بالمقاطع .

اما معادلة الاهتمام الانسانى او « الجانبية » فهى مبنية على اساسين هما :

لولا : متوسط النسبة المئوية لعدد الكلمات الشخصية ، وهى جميع الاسماء المعبرة عن الجنسين الطبيعيين ، وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة ، وكلمة الناس المستخدمة مع افعال الجميع ، وذلك كلمة القوم او الاهل .

مختلفة ، لذا فهى تنطبق على القارئ العام ذى الاهتمام العام ولا تضع فى حسابها اثرا لأهتمامات القارئ الخاصة على قابلية قراءته للمادة . فالتألفية للقراءة اذن تعتمد على اهتمام القارئ وخبرته .

اللغة الاعلامية والاطار الدلالى :

واذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته ، فان الرسالة الاعلامية تفقد قيمتها عند ما ينعدم الفهم .

ان لكل جماعة ، بل لكل عدد مجموعة من التصورات والاتجاهات تتحكم فى سلوكه وفى نظرته للاشياء . فالانسان يعيش فى عالين : عالم خارجى موضوعى ، وعالم باطنى ذاتى هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجى ، او مجموعة المفاهيم والدلالات .

ولا يستطيع الاعلامى ان ينجح فى تحقيق هدفه الا اذا عرف هذه العوالم الباطنية او التطورات الخاصة او الدلالات الحقيقية للاشياء فى ذهن المستقبل . ذلك انه لكل فرد عالمه الخاص ، وتصوراته الذاتية المشتقة من بيئته وثقافته ، بما فيها وسائل الاتصال المختلفة (75)

والانسان يبيل الى تنظيم الحركات بطبعه ، وخلق المعانى عليها ، وفقا لاطاره الدلالى ، او مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة : ولا يمكن للاعلامى ان ينجح فى اداء مهمته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجماعات والافراد .

ويخطئ الاعلامى حين يظن ان ما يقدمه من معلومات او افكار سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها . فهناك عقبات عديدة فى سبيل ذلك منها التمييز والتعصب والخرافات والاهام . كما ان هناك عقبات تنشأ عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

وعلى ذلك ، فان عناية المنهج الاعلامى بدراسة الدلالة والاطار الدلالى هى عناية بالعوامل التى تؤثر فى معانى الكلمات وفى قواعد اللغة واساليبها فتؤدى الى اختلافها وتطورها .. وما الى ذلك ، فى اطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية ، الخ ..

مع ملاحظة ان حروف الاختصار ، وعلامات الوصل او الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جبيع الارقام والحروف الواقعة بين مسافات .

الخطوة الثالثة : تحصى المقاطع في المائة كلمة المختارة .

الخطوة الرابعة : تحصى الجمل على اساس وحدات الفكر ، لا علامات الوقف .

الخطوة الخامسة : تحصى عدد الكلمات الشخصية في كل مائة كلمة .

الخطوة السادسة : تحصى الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة .

الخطوة السابعة : استخلص يسر القراءة (ىق) باحصاء عدد المقاطع في مائة كلمة اى طول الجمل (طج) طبقا للمعادلة الآتية :

ىق (يسر القراءة) .

206،835 - 846 طك - 1،015 طج .

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية (ج ا) بادراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية (كش) والنسبة المئوية للجمل الشخصية (جش) طبقا للمعادلة الآتية :

ج ا (الجاذبية الانسانية) = 3،645 كش + 0،314 ج ش .

وقاعدة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذى يبدأ من اقصى الملل في ناحية الى اقصى الدراما في الناحية الاخرى مع وجود عنصر التشويق للغاية بينهما .

ثانيا : متوسط النسبة المئوية للجمل الشخصية ، وهى جبل المحادثة المنطوقة التى تقع بين علامات التنصيص او الاقتباس ، وكذلك الجمل المنتهية بعلامات الاستفهام او علامات التعجب ومثلها جبل الرجاء والطلب والامر ، وكذلك الجمل الناقصة على اساس النمو اللغوى ولكن يمكن للقارئ فهمها من سياق الحديث .

ويضيف الدكتور فليس ان عامل الاجتذاب الانسانى او الاهتمام الانسانى يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائده العظمى حث القارئ وتشويقه للقراءة .

ويبدأ مقياس فليس من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الامترائية والجاذبية . ويبدأ مقياس الامترائية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدأ مقياس الجاذبية من الملل الى المشوق الى الدرامى .

تطبيقات معادلة فليس :

وينسر لنا فليس كيفية تطبيق معادلته على النحو التالى :

الخطوة الاولى : اذا اردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات . ويمكن اخذ ثلاث الى خمس فقرات من المقال ومن 25 الى 30 مقرة من الكتاب . ولا ينبغي انتقاء عينات مثالية او ممتازة . ويمكن اخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفترة 3 ثم 6 ثم 9 وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة .

الخطوة الثانية : تحصى الكلمات في القطعة المختارة كلها ، وفي حالة العينات تحصى الكلمات حتى المائة .

ومبما يلى جدول فليس للجاذبية الانسانية :

النسبة المئوية للجمل الشخصية	النسبة المئوية للكلمات الشخصية	نوع المجلات	صفة الاسلوب	درجة التشويق
صفر	2 فاقل	علمية	ممل	صفر - 10
5	4	تجارية	مشوق نوعا	10 - 20
15	7	مختارات	مشوق	20 - 40
32	11	مجلات متنوعة	مشوق للغاية	40 - 60
58 فاكتر	17	قصصية	درامى	60 - 100

أما مقياس يسر القراءة فيتضح من الجدول التالي :

متوسط طول الكلمات في جمل	المقاطع في كل 100 كلمة	نوع المجالات	صفة الاسلوب	درجة الانقرائية
29 فأكثر	192 فأكثر	علمي	صعبة للغاية	صفر - 30
25	167	اكاديمي	صعب	30 - 50
21	155	رقيق	صعب نوعا	50 - 60
17	147	مختارات	عادي	60 - 70
14	139	قصص	سهل نوعا	70 - 80
11	131	قصص	سهل	80 - 90
8 فأقل	123 فأقل	قصص مصورة	سهل جدا	90 - 100

الثالث : هو تمييز الاسلوب بنماذج الكلام ، اى بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمي .

والرابع : هو العادات والسمات اللغوية التي تميز شخصا ما ، وبخاصة كتابا من رجال الصحافة ، فحين نقول اسلوب العقاد الصحفي او اسلوب الدكتور هيكل الصحفي مثلا تقفز الى اذهانتنا بعض السمات التي ينفرد بها العقاد او الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التي يتميزان بها .

ومهما يكن من امر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هو دراسة الاساليب الاعلامية المختلفة بحيث تشير الى الملامح اللغوية التي تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصلة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين المواقف الاجتماعية التي تستخدم فيها من ناحية اخرى ، كما نفسر كلما امكن ذلك ، العلة في استخدام هذه الملامح ونقابله باللامح البديلة في الانماط اللغوية الاخرى . ثم نصنف هذه السمات الى فضائل تبوب اما على اساس مميزات اللغوية من نحوية وصوتية ولغوية او على اساس وظائفها في السياق الاجتماعي (76) او على اساس العلاقة بين الاثنين معا اما موضوع البحث الذي يتناول دراسة الاسلوب الاعلامي فهو اى شريحة من الكلام المداع او اللغة

طابع الاسلوب الاعلامي :

جذبت مشكلات الاسلوب الاعلامي الدارسين ، منذ تأكد للفن الاعلامي والصحفي وجود ، فتناول الدارسون بالتحليل الكمي اسئلة مثل :

— ما هو الفرق بين الاسلوب الاعلامي والاسلوب الادبي ؟

— ما هي الاغراض التي يهدف الاسلوب الاعلامي الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الاسلوب الاعلامي من علم «الاسلوبيات» احد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديث ، ويعتمد هذا المنهج في دراسة الاسلوب الاعلامي على المناهج اللغوية الحديثة ، بل ان بعض الباحثين في تحليل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمي للاسلوب ، فاتجه هذا التحليل في اتجاهات اربعة :

الاول : هو اللغة كلها ، وقد اجريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام ، كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على اساس تكرار انماط الاستخدام التي تظهر في الكتابة والكلام .

الثاني : هو التمييز بين انماط الاسلوب في الفقرات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام احدث التطبيقات واشملها للتحليل الكمي للاسلوب الاعلامي وخاصة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة .

(76) انظر مقال « اللغة ونظرية السياق » للدكتور على عزت — الفكر المعاصر — العدد : 76 — القاهرة.

المطبوعة التي يمكن للمحلل اللغوي ان يعزلها من الفيض اللغوي المتدفق ثم يخضعها لمعايير البحث والتحليل ، سواء كانت هذه الشريحة عبارة او جملة او فقرة او نصا متكاملًا .

ويطرح الباحث في الاسلوب الاعلامي عدة فروض :

— هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها في الاسلوب الصحفي او الاعلامي بوجه عام ، وبين الوظائف التي تؤديها هذه الصيغ في السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه ؟

— هل يتعين علينا ان نفرق في الوظيفة اللغوية بين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب المعرفي » اي الذي يؤدي الى معلومات ، وبين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب اللامعرفي » الذي يؤدي الى انفعالات واوهام ، وباعتبار آخر هل نفيد في دراسة الاسلوب الاعلامي من وراء التمييز بين الاسلوب المعرفي الذي يستعمل للتعبير عن المعارف لاحداث بدقة ووضوح ، وبين الاسلوب اللامعرفي الذي يستعمل لاثارة العواطف والانفعالات في نفس القارئ ، وصفوة القول في هذه المشكلة ان دراسة الاسلوب الاعلامي تقتضي التمييز بين هذين النوعين من الاساليب لتقنية الاسلوب الاعلامي من الاستعمال التحذيري للغة في السياسة والدعاية ، لان الاسلوب الاعلامي يستعمل للتعبير العقلي الفكري ، والمناقشة الواضحة الناضجة .

وفي هذا الصدد ، يذهب علم النفس الحديث الى ان استعمال اللغة استعمالا عقليا واعيا ، هو الذي يخرج المدركات من مجال الغموض اللاشعوري ، الى حيز الوضوح الشعوري ، ويتفق وارد وستاوت في انجلترا ، وبرجسون في فرنسا ، وكروتش في ايطاليا ، على ان اللغة هي مجموعة الرموز التي تنقل المعاني من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر . وفي رأيهم ان الرموز المصورة لا يمكن ان تقوم مقام اللفاظ اللغوية ، لانها غامضة غير محدودة ، وان الرموز للتعبير عن الانكار هي الكلمات اذا استعملت استعمالا عقليا واعيا .

كما ان الفروق بين الاسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية

اللامعرفية التي تخاطب الغرائز وتوتظها لا تزال مستعملة في فنون الدعاية والاعلام . فالغرائز البشرية، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هي الاهداف التي يسعى المعلن والداعية الى التأثير فيها (77) .

اما الاعلام ، بمفهومه العلمي ، الذي يلتزم بمسؤولياته الخطة ازاء المجتمع والافراد ، فانه بحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الغرائز . وهو يساهم في ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الراي العام وتنوير الناس ، يفضل استعمال الاسلوب المعرفي الذي يؤدي الى الوعي والتفاهم .

كما تتضمن الفروض التي يضعها الباحث في الاسلوب الاعلامي امامه اخيرا ، هل من الافضل دراسة الملامح اللغوية في اسلوب كاتب ما لذاتها ، بصفتها سمات تميزه عن اسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاخرى ان نتقدم خطوة في اطار علم الاتصال بالجمهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية وآثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تأثيرها على القارئ فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ ..

على اننا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجمهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامي من اكتشافات علم اللغة الحديث سواء في مجال علم المفردات او النحو او الصوتيات او الدلالة .

اللغة الاعلامية ونظرية السياق :

يرى مالبينوفسكي انه ينبغي علينا ان نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعي والانساني الاخرى ، وان نفسر دلالة كل لفظ او عبارة داخل اطار السياق الحقيقي الذي تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمي الاجتماعي والذي نسميه لغة الاعلام ، لانها تعد نمطا من انماط السلوك البشري لا يؤدي مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدي دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالبينوفسكي انه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة اخرى ،

(77) نشره مالبينوفسكي كملحق لكتاب اوجدن ورتشاردز المعروف . "The meaning of meaning"

وكما بعثت المسافة بين ثقافتين متباينتين زادت الصعوبة في العثور على مرادفات غير هاتين الثقافتين. وإذا أردنا تعريفاً الترجمة في شئ من الدقة فإنها إعادة خلق اللغة الأصلية إلى لغة أخرى مختلفة تمام الاختلاف. ومن ناحية أخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هي من غير شك ترجمة سياقات بكلمتها .

وضفوه القول ، ان فصل الناحية اللغوية للالفاظ عن السياق الاجتماعي والثقافي كما يذهب مالبينوفسكى هو تبين لكل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، فاللفظ بالنسبة له هو عمل ذو قوة وفاعلية لا تقل عن اى عمل يدوي ، او هو مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالموقف الذى يحدث فيه ، وذلك ما حدا بمالبينوفسكى ان يقول في مقاله : « مشكلة المعنى في اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموقف ارتباطا لا ينقسم ، وسيقاق الموقف لا غنى عنه لفهم الالفاظ » .

وتجد نظرية مالبينوفسكى هذه ، صدى في كتابات الفيلسوف ك . فنجنشتين الذى يقول في كتابه « ابحاث فلسفية » :

« تكمن معانى الالفاظ في استخدامها ، وليس في مقدور المرء ان يحرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه ان ينظر الى استعمالها ، ويتعلم من ذلك » .

ويمكننا ان نقول ان نظرية مالبينوفسكى في السياق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان توظف لصالح المنهج الاعلامي في اللغة ، لدراسة اللغة في اطارها الاجتماعي . وذلك ان هذه النظرية — كما ذهب الى ذلك فريث — اطار مناسب تنظم فيه العناصر التي تضم الاشخاص والادوات والاحداث ، الى جانب عنصر اللغة الذى تقوم بينه وبين هذه العناصر الاخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية في المحل الاول .

ويقترح فريث على اللغويين ان ينحوا في دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصي العلاقات الداخلية للمواقف الموقف على هذا النحو :

اولا : دراسة السمات المميزة للشخص والخصيات التي تساهم في سياق ما ، مثل : الاحداث

اللغوية او الكلامية التي ينطق بها المشتركون في الموقف .

وكذلك الاحداث غير اللغوية التي تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والايحاءات ، الخ ..
ثانيا : دراسة الاثنياء والادوات ذات العلاقة بالموقف .

ثالثا : اثر او نتيجة الحدث اللغوي .

ولقد ساهم مالبينوفسكى وفريث بدراسة للسياق ، في تشجيع الباحث اللغوي في الاعلام حين يتعمق على دراسة اللغة من الناحية النحوية والصوتية واللفظية الا يهمل « الموقف » بشخصه ونظمه وعاداته .
والراى عندي ان دراسة السياق في لغة الاعلام تنفذ في فحص مضمون الاتصال في مقابل الاهداف منه ، سواء كانت صريحة او ضمنية . كما تنفذ في تصحيح التاكيدات الخلطية في مضمون ولغة الاعلام على ضوء الهدف منه .

وتساعدنا دراسة السياق في لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :
اولا : تقويم الاداء بناء على معيار قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن او وجود هدف اجتماعي .
ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر .

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمحيط خارجي ليس من المضمون .

وقد تم تطبيق المعيار القبلية على مضمون الموضوعات التي تتناولها الصحف في بعض البلاد وفي فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات للتأكد من مقدار الالفاء او التشويه او عدم الدقة .

وتوالى دراسات اخرى طرق معالجة العمل في البرامج الاخبارية في الاذاعة ، وطرق معالجة قانون معين في عدد من الجرائد ، وطرق عرض الاتباء المطية في المجلات الاسبوعية . على ان الاساس الثاني للتقويم يتضمن اقلية معيار داخلية ، لمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر . ففي دراسة « السلوك الاخلاقي وغير الاخلاقي لعدد من الصحف المطية للصحافة الامريكية تم تقويم الصحف على اساس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من الصحف التي تهتم اهتماما كبيرا بالاتباء الاجتماعية » .

واستمدت المعيار من تحليل مساحات عناوين الصفحة الاولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة الاجتماعية » هي (المشكلات الاجنبية ، ودولية الولايات المتحدة ، والوطنية) وثلاثة موضوعات حسية هي (حاس المال ، والجيش ، المال والجنس) .
ويطرح الاخيرة من الاولى نحصل على درجة واحدة لمقياس (الاجتماعية الحسية) لكل صحيفة . طبق هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقورن بينها على اساس ان هذا هو معيار تحديد احسن صحيفة .
ولا شك ان كفاءة المعيار المستخدمة والتي تستعين بفراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويم وسائل الاتصال الاعلامية .

نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان تفيد من دراسات علم اللغة بفروعه المختلفة ، وما تهدي اليه من ظواهر لغوية ، وما تكتشفه من بحوث فنية تفيد في دراسة لغة الاعلام وتهذيب الفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وادخال مفردات جديدة . على مفرداتها ، وتدعم خصائص هذه اللغة الاعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح ، واقترب شديد من لغة الحديث الواقع الحى المتقف ، دون اسفاف او هبوط الى العامية واستخدام اللغة العملية التي تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هي اللغة الاعلامية المؤثرة حقا .

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية يولى وجهه في مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويستمد منه المعونة ، ويتوصل الى النتائج العلمية التطبيقية في تطويرها عن طريق قوانين علم اللغة وقواعده ، ولذلك فان بحوث اللغة الاعلامية لا يمكن ان تنفصل عن بحوث علم اللغة ، ولكنها في نفس الوقت تنصل اتصالا وثيقا بعلوم الاتصال بالجمهير ، وذلك ان اللغة الاعلامية لغة فن تطبيقي وليس فنا تجريديا . والفن التطبيقي لا يقصد لذاته ، وانما يهدف الى تحقيق غايات معينة ، وان يؤدي وظائف محددة ، واللغة الاعلامية ترتبط بست وظائف رئيسية هي :
الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح والتوجيه او الارشاد ، والتسليية او الامتاع والتسويق او الاعلان والتعليم او التنشئة الاجتماعية وليست اللغة

الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجمهير فحسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة متكاملة تقدمها المصادر العديدة في الفلسفة وعلم النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع والسياسة ، وعلم النفس الطبيعي والمناهج النظرية واثار الاتصال ونتائجها .

وضفوة القول ان المنهج الاعلامي في دراسة اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بالفراد فصيلته ونعنى بها علوم الاتصال بالجمهير ، اشد من صلته بالطوائف الاخرى .

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هي علاقة تأثير وتأثر ، فاذا كنا ننظر لعلاقة التأثير على النحو السابق ، فان علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هي علاقة التنمية اللغوية ، واهم عوامل التأثير في حياة اللغة ، ذلك ان اللغة في مختلف مظاهر حياتها - شأنها في ذلك شأن النظم الاجتماعية الاخرى - ترتبط ارتباطا وثيقا بما عداها من مؤثرات العمران ، ولعل اهم هذه العوامل التي تؤثر فيها وسائل الاتصال الاعلامية التي تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية وشؤونها ، فهي تسهم في نشأة كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل ، وفي هجر كلمات كانت مستخدمة فيها او انقراضها انقراضا تليا .

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم العوامل التي تدعو الى نشأة كلمات في اللغة ، كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعي جديد ، سواء كان نظما اجتماعية واقتصادية ، او نظرية جديدة علمية او فلسفية ، او مختصرا ماديا جديدا ، الخ ..

ذلك ان الاعلام من حضارى ، لا يزدهر الا في البيئة الصالحة للتقدم والتطور . ففي الصحافة المصرية الحديثة ، نلاحظ انها قد ورثت ، عند ظهورها في القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبا عتيقا يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تميل الى البهرجة ، ثم اخذ هذا الاسلوب يتخلى شيئا فشيئا عن هذا التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » فوجدنا انفسنا امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبى والاسلوب الصحفى واخذ الفن الصحفى في التبلور والتطور حتى وقتنا الحاضر . واذا ذلك وجدنا له لغة تبعدها ظاهرا عن لغة الادب . فقد استحدث الصحفيون الحاليون

والعلامات اللغوية هي العنصر الاساسى فى اللغة .
وهى وحدة تتألف من شكل صوتى (جسم صوتى)
او (دال) معنى (مضمون) او (دلالة) .

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة
للشعورية التى تتم فى وعى الافراد المنتمين للجماعة
اللغوية ، وهى صور متصلة بالشكل الصوتى المعين
للعلامة ومرتبطة بها ارتباطا متعسفا . اى ان العلامة
اللغوية ليست هى الشكل الصوتى والصورة الكتابية
المقابلة له فحسب ، بل لا بد فيها من وجود رابطة
تجمع بين ذلك الشكل الصوتى المادى والمضمون
الشعورى الواعى . وبهذا تكون العلامة اللغوية
وهى ذات شقين .

والعلامة اللغوية تتمثل بشكل مادى محدد فى كلمات
ووسائل نحوية وصرفية تعبر عن العلاقات القائمة
بين الكلمات ، اى انها تخلق من مجموعة الكلمات
المتراصة فى احدى اللغات جملا سليمة من ناحية
القواعد النحوية ، ولذلك فان الاعلام اللغوى ، يركز
على دراسة هذا الشكل المادى للعلامة اللغوية كذلك .
كما يعنى بدراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تعكس
جزءا محدد من الواقع الموضوعى فى وعى الفرد
المنتمى لجماعة لغوية ، ولان هذا المعنى عبارة عن
فكرة ، وهذه الفكرة هى فى الوقت نفسه العنصر
الاساسى من الصورة التى تعكس الواقع الموضوعى .

ونفسيا على ذلك تتحدد الوظيفة الاجتماعية
الطوبية للغة ، والتى يعنى بدراسة علم الاعلام ، لما
تقوم به من دور كبير الآن فى حياة العالم السيلسية
والتربوية . ويزداد بوجه خاص فى عصر الصراع بين
الاستعمار والاشتراكية وبين قوى الاستغلال والرجعية
وقوى التقدم والتطور - ان الجانبين يناقشان فى اجتذاب
الافراد الى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من
الصراع الدائر ويشركه فيه بدوره . وتقرب الوسائل
التي يلجأون اليها فى سبيل ذلك هى الكلمة .

لهذا كله يصبح من الزم الواجبات التى تواجه علم
الاعلام اليوم ان يبحث فى اثر اللغة على تفكير الناس
وذهنهم للامور وتوجيه مشاعرهم وارادتهم ومسلكتهم
المعملى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام
المختلفة فى احداث الاثر المطلوب .

تراكيب جديدة لم تخطر للادباء او اللغويين الاولين .
فبدلا من قولهم : انه لا بد من توضيح المسألة توضيحا
لا ودع مجالاً للشك بأحدهم يقولون : تريد ان نضع
النقط فوق الحروف ، وهناك صفات ونعوت جديدة
لا وجود لها فى الكتب القديمة مثل : الحقيقة الصارخة ،
والاكتوبة البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعايسة
السوداء ، والغيرة الصفراء .

وفى موضع آخر من هذا البحث ، سنرى مستوى
الدور الذى يمكن ان يؤديه الاعلام فى الثبوت اللغوية ،
وحفظ اللغة ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ،
وتثقيفها من نواحي المفردات والتواعد والاساليب ،
وتسجيل آثارها ، واستخدامها فى مختلف اشكال وفنون
التحرير الصحفى والاعلامى .

ونخلص مما تقدم جميعا ، الى ان المنهج العام الذى
يشق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عددا من
المناهج ينطلق من ثمار علم اللغة المتعارن ويمضى الى
علم اللغة ويبحث فى العلاقات اللغوية فى الاعلام العربى
المعاصر فى ضوء علم اللغة الوصفى او الطسوم
الاجتماعية والنفسية ، وينظر كذلك فى تضاهي اللغة
الاعلامية على هذا المنهج التقابلى وعلم اللغة التطبيقي .

والسير بهذا المنهج خطوات كبيرة ، يتسلف على
التوصية بعناية اقسام الصحافة ومعاهد الاعلام باللغة
العربية اهتماما كبيرا ببحث هذه اللغة بحثا علميا
ينطلق من محاولة التصور ، التى اثبتناها لهما سبق ،
نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية وتياهما
بوظيفتها ، فنحن نستطيع ان ننظر الى اللغة على اعتبار
انها نظام من العلامات الصوتية يتشأ ويتطور مرتبطا
بتاريخ الناقلين بهذه اللغة ، واستخدم وسيلة للتواصل
ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير نحو الامتلاك والمواظف
والمشاعر .

وعلى ذلك فان علم الاعلام اللغوى ، يشق طريقا
جديدا متخصصا فى تأثير اللغة على الناس ، ويتحدد
التواصل اللغوى فى مفهومه بعملية تباعل المعلومات
بين الافراد والجماعات . ويظهر هذا التواصل
اللغوى على شكل عبارات او تعبيرات شفهية او
كتابية تتبادلها الاطراف فى موقف معين ، لغرض معين ،
عن واقعية معينة .

الفصل الرابع

اللغة الاعلامية

اللغة الاعلامية هي اللغة العربية الفصحى :

وتقدم اننا لا نمنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية من تجريد نظري ، انما نريد باللغة الاعلامية انها لغة بنيت على نسق عملي اجتماعي عادي ، فهي في جملتها فن يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام .

وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا يرمى الى التمنجج والتبسيط ، اخص الخصائص في اللغة الاعلامية ، التي تستخدم الرموز الجسدة او الانماط او النماذج التي تقوم مقام التجربة الفردية او الجماعية لتنظيم التجارب الانسانية المعيشية .

فاللغة العربية في طليعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية او الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم شبه الجزيرة العربية .

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا امة بيان ، وللكلام عندهم مكانة العمل لان القول والعمل عندهم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هي حال الامم المجالية في الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره كما هي حال الامم البكيثة العاجزة في استهلاله فلا غرابة بعد هذا في ان نجد الكثير من خصائص العربية وخصالهم في لغتهم (78) .

وتلك السمة البارزة في اللغة العربية ، هي التي جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (79) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة قوم تتراعى لنا صفاتهم وصفات اوطاتهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراعى لنا اطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته في اسلوب الواقع واسلوب المجاز .

يقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمع العربي في قوامه الاصيل انما كان مجتمع رحلة وبرعي ، وان

(78) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص 41
(79) « اللغة الشاعرة » - ص : 61 .

الكلمات التي تدل على معنى الجماعة في لسان العرب قلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية . فاللغة هي الجماعة التي تؤم مكانا واحدا او تتم بقيادة واحدة .

والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هي الجماعة التي تطوف معا ، والقبيلة هي الجماعة التي تسير الى قبلة مشتركة ، والفصيلة هي الجماعة التي تفرق في مسلك واحد ، والفئة هي الجماعة التي تنفي الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجال واحد ، والبيئة هي الوطن الذي يبوء اليه اصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفرون معا للقتال او لغيرة ، والقوم في جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال ناصة ، ولهذا اطلقت اولا على الرجال ثم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسخر قوم من قوم » ، ومنه قول زهير :

وما ادري ، ولست اخال ادري
اقوم آل حصن ام نساء ؟

ومن ذلك بين ان اللغة العربية لغة دالة ، ترمى الى التمنجج والتبسيط ، من خلال منهج لوضع الالفاظ للمعاني الجديدة ، يختار صفة من صفات الشئ الذي يراد تسميته او بعض اجزائه او نواحيه او تحديده وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفة او جزئه او ناحيته او وظيفته .

في هذا الموضوع تختلف الامم وتتفاوت في نظرتها الى الاشياء وفي وضع الالفاظ الجديدة التي تطلقها على المسيمات . وفي اللغة العربية اظنة قديمة وحديثة من الالفاظ العربية ، تؤكد هذه الصلة بين المذلول الاصيل للفظ والمعنى المقصود منه او الشئ المسس . فمن الالفاظ القديمة : السهل والسماء والقلب والمادة والانسان والبيت والعقل والفضل والشرف ؛ يلاحظ في هذه الالفاظ ان العرب اختاروا صفة السهولة في السهل والسمو في السماء والتقلب في القلب والمود والتكرار في المادة والانس في الانسان والبيت في البيت والعقل وهو الرطب في العقل لانه يعقل صاحبه عن الشر

والقديرة تاجع
من يرمع رطبا ليرمعه في القلب والمود

والفضل وهو الزيادة في الفضل المعنوي والارتفاع في الشرف (80) .

ولو نظرنا الى هذه الالفاظ الاخرى : عامل ووال وجهاد وزكاة وهي الفاظ نشأت بعد الاسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا انها اخذت من العمل ، والولاية ، والجهد ، والزكاة بمعنى النماء او الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الالفاظ المستحدثة في عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من المنظر والديباجة من دب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين مفرد العلم المختلفة . ولو قابلنا بين هذه الالفاظ وامثالها من اللغات الاخرى كالفرنسية والانجليزية لوجدنا اختلافا في طريقة التسمية وفي اختيار الصفة التي بها تكون التسمية ، فانه يلاحظ اولا ان اللغات الاخرى قلما تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ الدالة على امثال المسنيات ، اما العربية فهي في اغلب الاحوال تحتفظ بالمعاني الاصلية للالفاظ التي تطلقها على مسميات جديدة كما هي الحال في الالفاظ التي استشهدنا بها وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة في الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لاننى تأمل ونظر . وقد تدق احيانا وتخفى احيانا اخرى ، فالفاظ العربية في الجملة محللة (81) .

ان العرب يذهبون حين « التسمية » او « التسمية » الى اخص صفات المسمى او النموذج وبرزها ، او الى عمله الاساسي ووظيفته اكثر من ذهبهم الى ظاهره وشكله الخارجى او تركيبه واجزائه . فبينما نرى الفرنسى مثلا قد اطلق لفظ Bicyclette اي ذات الدواليبين على اداة الركوب المعروفة بهذا عندهم اطلق عليها العربى لفظ الدراجة ، فالفرنسى خلطها الى اجزائها ونظرا الى تركيبها والى حالتها الساكنة ونظر العربى الى وظيفتها وعملها وحركتها فسمها دراجة ، وكذلك السيارة سماها الفرنسى Automobile اي المتحرك بنفسه وسماها العربى بلفظ يدل على عملها ، كذلك قل في المكواة وهي في الفرنسية Fer à repasser الحديدية التي يتكرر امرارها ، وفي المطار وهو في الفرنسية Aérodrome ومعناها الحرفى السباق الجوى وفي الإنجليزية

Airport اي الميناء الجوى ، وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية في الدلالة على العمل او الصفة البارزة لفظ Moteur اي المحرك .

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (82) هذا المعنى في دلالة اسماء الامكنة ، فهي دلالة مضطردة على هذا المثال في اكثر البقاع التي تسكن او يرحل منها واليها .

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموضع والمرجع والمأوى وكذلك المسافة بين مكان ومكان انما هي الموضع الذي يساف ترابه للاهتداء الى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة « المشاع » في البداية الاولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذي يبنى مقصورا على بانيه ، خلافا للبيوت والخياه التي تقام في كل مكان .

واسم المكان معناه « التمسكن » خلافا للنقلة والمنتقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا ايضا في الكلمات التي تدل على العشرة او على الرابطة الاجتماعية بين الآحاد . فالصاحب هو من يشى معك في السفر ، وكذلك الرفيق الذي يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبة الزاملة ، والقريب الذي يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدد » للخصم الذي يعدوك او يعدو على جوارك .

ونتبع هذا المعنى ، او نقراه في المعاني المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرع والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقلبة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهي من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهي من نص الاثر ، ونطلق الاثر على المخلفات وهي من بقايا المواطنين والاقدام .

ونعتقد ان النظر في الفاظ اللغة من هذه الناحية تتم لدراسة اللغة الاعلامية ، سواء منها ما يراد لتأكيد عوامل النجاح في « الرسالة الاعلامية » للبلوغ والتاثير في الجماهير ، او لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمى اليه من نمذجة وتبسيط او للتفريق بين لغة الاعلام ولغة الادب .

(80) محمد المبارك : « خصائص العربية » - ص : 51 - ايضا « فقه اللغة » - ص : 129 - 195 .

(81) المرجع السابق .

(82) « اللغة الشاعرة » - ص : 61 .

فكل كلمة في اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبلين ، كما يجب ان تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة او الاستماع ، اما فنون التورية وازدواج المعاني او الهلات الانفعالية حول الالفاظ ، وغيرها من فنون الادب التي تؤدي المعاني وخاصة في الشعر ، فهي بعيدة تماما عن لغة الاعلام لانها تقطع تيار الاتصال الذي يجب ان يظل مجراه صافيا نهيرا .

و اذا كانت اللغة العربية كما وصفها الاستاذ العقاد (83) « اللغة الشاعرة » ، لغة بنيت على نسق الشعر في اصوله الفنية والموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم منسق الازران والاصوات ، لا تتفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء . فان اللغة العربية كذلك ، لغة اعلامية ، ونريد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامي بمفهومه الحديث تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها ، كما انها تتبشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليدته فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء ذلك ان في تسميتهم لها باسم بعينه ، وفي اطلاق لفظ دون غيره عليه ، واختيار صفة من صفاته ، ما يدل على اتجاههم في التفكير وتقييمهم للاشياء .

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهم نهوا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال . واستعمالهم لفظ « المرء المرأة » يدل على تساوى الرجل والمرأة في الاصل عندهم ولفظ المروءة مشتق منها معا ومجناه الصفات المستحسنة المأخوذة من اخلاق الانسان فكذا كان ام انثى .

الفكرة الزمنية في اللغة العربية :

من اهم المقاييس التي يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن في افعالها . ثم في سائر النواظير .

وهذا المقياس يصبح من اهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لان الصحفيين او رجال الاعلام يكتبون لكل الناس في كل

الاقوات ، وليس لجزء من الناس في كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت ، فكل كلمة او كل مجموعة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامي يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين ، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمن في افعال لغتها الام .

لان عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا في تغطية الاخبار وتحريرها واخراجها من جهة ، كما تميز الاعلام بالدورية والايقاع من جهة اخرى ، فهو يروى حدثا بعينه في اطار زمن محدد ، فاللغة التي تدل على الزمن بعلامات مقرررة في الفعل انسب واصح للاعلام من اللغة التي خلت من تلك العلامات . وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة اعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسب ان لغة نفهمها - او نفهم عنها - كما يقول الاستاذ العقاد (84) قد اشتملت على وسائل للتمييز بين الاوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية . سواء نظرنا الى ضرورات سكانها او نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتها .

فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها في حياة سكان البادية بين السفر والاقامة والخل والترحال . فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة ، وما هو صالح للراحة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكنة والاستقرار .

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحى او الغدوة والنهيرة والنائلة والمسر والاصيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيع الاوسط والموهن والسحر والفجر والشروق .. ويكاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات في كثير من اللغات الاخرى بغير الجبل والتراكيب (85) .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه في المرعى والانتاج وطلب الماء او التجارة او الامان ولهذا وجدت اسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها ثلاثة اسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس في مصطلح الفلكيين : فهي السنة وهي العام وهي الحول .

(83) « اللغة الشاعرة » - ص : 8 .

(84) « اللغة الشاعرة » - ص : 71 وما بعدها .

(85) المرجع السابق ص 72 - 73 .

ولكل منها موضعه في التعبير ، بل لهذا وجدت للوقوات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر في المدة . فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن . وتنطوي فيها اللحظة او اللحظة للوقت القصير والبرهة والروح للوقت الطويل . والفترة للمدة المعترضة بين وقتين . بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمن للدلالة على جنس الوقت كفيما كان ، والدهر للجهة المحيطة بجميع الأزمنة والمعهود والاحيان .

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات في لغة من اللغات التي تفهمها على صورة ادق من هذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها كما يقول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضي » مهم عند ابناء البادية العربية في كل عهد من عهوده . لانه مستودع المفارخ والانساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من المصادفة ان يسمى التاريخ باسم الايام وان يعرف لكل يوم اثر فيها كان وما يكون .

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة في العناية باجزائه وتقسيماته . لان كل لحظة منه ذات شأن في الحركة والاقامة . وفي المرعى والتجارة ، وفي الحرب والامان . »
وليس من الطبيعي ان يبلغ احساس قوم بالوقت هذا المبلغ ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الاحساس به في مختلف مواضعه ومناسباته .

فاذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العرب في هذا الصدد وجدناهم يربطون ربطا وثيقا بين الصيغة والزمن ، فيقسمون الازمان الى ثلاثة : الماضي والحال والمستقبل مكثفين بتلك الازمنة الاساسية على ان بعض المتكلمين من العرب قد انكر وجود الزمن الحالي ورآه مندرجا في الماضي والمستقبل بعضه في الماضي والباقى في المستقبل ، ولكن جمهور النحاة يبنون

فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال ، وقال ان كان قد وجد فيكون ماضيا ، والا فهو مستقبل ، وليس ثم ثالث ، والحق ما ذكرنا ، وان لطف زمان الحال » .

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم من اقدر علماء الاجروميات والمباحث اللسانية — على حد تعبير العقاد (87) — ففى كتاب اصول الاجرومية الانجليزية لمؤلفة الدكتور توجيرسن « يقول هذا الباحث المحقق » ان لنا — على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماض ومستقبل . وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كئنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل .

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة في التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل في لغة العرب — كما يقول العقاد — فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما يأتى وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب نصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال ، وصيغة المضارع مسبوقه بالسين تدل على المستقبل القريب ، ومسبقه « وسوف » تدل على المستقبل البعيد .

ومن اشهر اقوال النحاة العرب ما جاء في فقه اللغة للثعالبي وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قد يستعمل الماضي مكان المضارع ، مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلون » اى سيأتى وقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » اى تلته ومثله وكان الله غفورا رحيفا اى ولا يزال ، الخ - ويقرر علماء البلاغة ان التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي انما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه ويمثلون لذلك بقوله تعالى : « ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض » اى يصعق ومن اسرار الفكرة الزمنية في اللغة العربية الاستطالات المختلفة للفعل « اتى » فنجد في القرآن الكريم : « اتى امر الله فلا تستعجلون » .

— قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد

— فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى .

— انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث

أتى .

— الا من اتى الله بقلب سليم .

— كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسل الا قالوا

ساحر .

(87) اللغة الشاعرة ص 76 .

(86) ابن يعيش ص 4 الجزء السابع .

— هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .

وفي هذه الاستعمالات القرآنية للفعل « اتى » نجد اساليب مختلفة ففى الآية الاولى زمن الايمان هو المستقبل ، وفى الثانية هو ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، ايضا ، وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه الحقائق الثابتة ، وفى الخامسة للمستقبل ، وفى السادسة لما قبل الماضى ، وفى السابعة للماضى المؤكد .

ويحق لنا ان نقول مع العقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بكثير من معنى واحد : لغة الزمن لانها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لانها قادرة على مساندة الزمن فى عصرنا هذا وفيما يلى من عصور .

اللغة العربية لغة مصروفية :

تقدم اتنا فى لغة الاعلام ، لا بد ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين الاسلوب « المعرفى » الذى يؤدى الى معلومات والاسلوب « اللامعرفى » الذى يؤدى الى خرافات واوهام ، لتنتيقية اللغة الاعلامية من الاستعمال التخديرى للغة فى الدعاية والسياسة .

فبعد ما يقول شخص لآخر « صباح الخير » فانه لا يعنى التفسير الاشارى للمعبارة وانما يريد ان يحدث تأثيرا عاطفيا ، او اقامة صلة طيبة بصديقه .

وعند ما اشار تشرشل الى الامان بلفظ الهون Huns كان يريد اثاره الكراهية ضدهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل الجرمانية . وعند ما يسب شخصا آخر ناعتا اياه بلته حيوان او كلب ، فانه لا يريد المعنى الاشارى او الاخبارى بقدر ما يريد اثاره الغضب والتحقير والازدراء (88) .

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشئ فاننا كما يقول الدكتور ابراهيم امام — نلاحظ فى مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين الرمز والشئ ، او بين اللفظ ومخلوله ، فالراية الحمراء رمز الخطر ولكنها ليست الخطر نفسه . وكلمة اسد ليست هى

الاسد نفسه ، وانما هى رمز له . وقد يبدو ان هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ، ولكننا نجد البدائين بل والكثير من المحدثين ايضا يخلطون بين الرمز والشئ .

فمن المعتقدات الشائعة فى مصر ان الرقى والتمايم لها قوة السحر ، وان الرموز تؤثر تأثيرا خيرا او شريرا على الناس ولكى يمنع الحسد ، ويمنع بعض الناس صورة او تمثالا للحسود ، ثم توخز بالابسر ، وتظمن بالالفاظ ، واخيرا تضرهم فيها الناس .

وفى جنوب ايطاليا — لا يلفظ اسم الشخص الحسود اتقاء لخطره اذ يعتقد الايطاليون ان مجرد نطق الاسم خطر داهم ، لذلك يثيرون اليه بمعبارة « الذى لا يسمى » وكلمة الموت لا تلفظ صراحة فى معظم اللغات وانما يستعاض عنها بالالفاظ وعبارات مختلفة ، دفعا لشر هذا الرمز .

وانراى هو — كما يذهب الدكتور امام (89) — الى ان الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففى البداية كانت اللغة تتأثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فاصبحت عملية وجدانية واخيرا بدأت مرحلة التعبير العقلى . فالمجتمع البدائى يؤمن بقوة السحر الكامنة فى الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بلاشياء وكان المصريون القدماء يعتقدون باله هو الكلمة ولا تزال هذه العقيدة سائدة فى معظم الاديان ولكن بصورة تتناسب مع اتوحيد ثم تلورت اللغة فى مدارج التعبير العاطفى الوجدانى ، فاستغلها الكهنة للتأثير فى الناس بالمعبارات الغامضة والكلمات ذات الجرس الموسيقى ، والتى تشبه المخنر .

ولا شك ان الاستعمال التخديرى للغة فى السياسة والدعاية لا يزال منتشرنا فالخطب المسومة ، والالفاظ الرنانة ، والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الاتنفاعلية تؤثر جميعا فى عواطف الناس وخاصة فى المستويات الحضارية المختلفة . وهذا الاستعمال التخديرى للغة هو الذى تشجعه الدعاية ، اما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلى الفكرى والناقشة الواضحة الناضجة .

(88) عبد الله امام العلاقات العامة والمجتمع — ص : 229 .

(89) المرجع السابق — ص : 23 .

دائما في الجملة المتكلمة ان قليلا او كثيرا .
وهذه الخاصة المعرفية في اللغة العربية ظاهرة
من تركيب حروفها على حدة الى تركيب مفرداتها على
حدة ، الى تركيب قواعدها وعباراتها في بنية الشكل
الصحفي وفنون الاعلام المختلفة .

فاللغة العربية في طبيعة تركيبها لا تحتاج الى الجمل
الخبرية « الاعلالية » فهما الى اعمال
الثبات او ما يسمى في اللغات الغربية
« فعل الكينونة » فنحن نقول في العربية
على سبيل الاخبار « فلان شجاع » دون حاجة مثلهم
الى ان نقول : فلان هو شجاع ، ونقول : « كل انسان
فان » دون حاجة الى ان نقول : « كل انسان يكون
فانيا » او « كل انسان يوجد فانيا » ، او كل انسان
كائن فان . كما هو شأنهم في تركيب كلامهم واذا قلنا
مثلا ان « الامة العربية واحدة » ثبت هذا المعنى في
اذهاتنا ثبوتا لا يحتاج معه الى شئ من الخارج ،
لا فعل الكينونة ولا اى رمز آخر من اللغة او اى امر
من امور الحس . والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة
ماثلة دائما في نفس العربي ، يلتفت اليها حين يواجه
المعنى ، فاذا اراد ان يبرزها او ان يؤكد مظهرها بلفظ
كقوله : « انه هو الحق » (90) .

ومعنى هذا ان الاسناد في اللغة العربية يكفى فيه
انشاء علاقة معرفية بين « موضوع » « ومحمول »
او مسند اليه ومسند ، دون حاجة الى التصريح بهذه
العلاقات نطقا او كتابة ، في حين ان هذا الاسناد
الذهنى لا يكفى في اللغات « الهندو - اوربية » الا
بوجود لفظ صريح مسموع او مقروء ، يشير الى هذه
العلاقة في كل مرة ، وهو فعل « الكينونة في اصطلاحهم »

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالفاظ فذلك من
اجل المعانى ، اى لكى يؤدي الرمز وظيفة معرفية
تحفز السامع او القارئ للعمل . وخر الادلة على ذلك
لغة القرآن الكريم ، والتي وصلت الى اقصى آيات
الاعجاز لفظا ومعنى ، فكان لها ذلك التأثير العظيم في
استنهاض الهمم ، لتحقيق المثل الانساني الاعلى .

وتأسيسا على هذا الفهم لروح اللغة العربية ،
قال ابن جنى في « الخصائص » في باب الرد على من
ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ .

وقد كثر حديث اللغويين عن هذين النوعين ، فنرى
في كتاب Alecking فصولا خمسة لما سماه : النثر
العلمي المعرفي والنثر العاطفي ، وتحدث الفصول عن
خصائص كل النوعين في الالفاظ والعبارات والموضوع ،
وما يثيره كل من النوعين في الازهان والمعقول ، وما
يهدف اليه النثر المعرفي من محاولة التعبير عن الافكار
بقدر مساو من العبارات ، رغبة في ابراز الحقائق
المجردة دون مبالغة فيها ودون التآثر في الازهان
بالصور الخيالية والمجازات اما في النثر العاطفي فيؤكد
المؤلف ان الامر يكاد يقتصر على مدلولات الالفاظ ،
بل يتعدى هذا الى ما يلي المدلولات من ظلال المعانى ،
ولما تثيره في الذهن من صور واخيلة يتأثر بها السامع
او القارئ ، وتستنتج منها الازهان من المعانى فنون
ما تحتمل تلك الالفاظ او العبارات ولذلك يمكن الربط
بين النثر العاطفي والشعر ، او يمكن ان يعد نوعا
من الشعر غير منظوم .

ومع هذا يرى صاحب هذا الكتاب ان ليس من اليسير
ان نضع حدا فاصلا بين النوعين : المعرفي والعاطفي ،
فلا يكاد يخلو المعرفي من كل عاطفة خلو تاما ، كما
نرى في العاطفي احيانا عبارات لا تهدف الا الى التعبير
عن الحقائق المرده . ويومئ المؤلف الى ترتيب الكلمات
في جمل كل من نوعين قد يختلف ، فلا نرى نظما
واحدا في هندسة الجمل .

ولكن « فندريس » يذهب في كتابه « اللغة » الى
الفصل بين النوعين حتى كاد يجعل كلا منهما لغة
مستقلة فيتخذ من اسلوب التخاطب بين الناس ميدانا
لتلك اللغة الانفعالية ، ومن الاسلوب الكتابي ميدانا
للغة المنطقية .

ولعل اوضح ما في علاجه لهذين النوعين شرحه
لاختلاف ترتيب الكلمات في كل منهما ، اذ يقول :
« ينحصر الفرق الاساسي بين اللغة الانفعالية واللغة
المنطقية في تكوين الجملة . وهذا الفرق ينبثق جليا عند
ما نقارن اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة فاللغة المكتوبة
واللغة المتكلمة يتبعدان في الفرنسية احدهما عن
الآخرى الى حد انه لا يتكلم اطلاقا كما يكتب ،
الى جانب الاختلاف في المفردات ، وذلك لان الترتيب
الذي تتماusk فيه الكلمات في الجملة المكتوبة ، ينقسم

وخاصة اخرى تجعل اللغة العربية اثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهي خاصة « اليجاز المرقي » وفي هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات الحاصلة على كثير من المعاني ، مثل الحركات التي تعين الفاعل عن المفعول ، والجرور اغنى المضاف ، ومثل الحروف التي تفضى بالانفعال الى الفوات مسن غير الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب . واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام المعجم في مخاطبتهم اطول مما نقره بكلام العرب . »

وتلك اخص الخصائص في لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة في لغات الغرب الى ان الاسلوب الاعلامي يعني : « اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف (93) » .

ومن ذلك ، اختلاف صيغة المبنى للمجهول بين اللغات الاوربية ، واللغة العربية ، لان العربية تدل على المبنى للمجهول بصيغة خاصة في اوزان الفعل الثلاثي والفعل الرباعي او الخماسي او الفعل المزيد على الجبلة ولكن اللغات الاخرى تدل على المبنى للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (94) .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول : فتح الباب ، بصيغة المجهول « ولكن العبارة الاوربية التي تدل على ذلك تقابل قولنا (ان الباب يكون مفتوحا ، او ان الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لانه اقرب الى الوصف منه الى الاخبار او الاعلام ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (ان الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم ، وهي صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالتة

فاذا رايت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها ، وحمو حواشيتها وهذبوها ، وصقلوا عزوبها ، فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويره وتشريف ثم قال : « فكأن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرها بعناية بالمعاني التي وراها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها.. وقد قال رسول الله (ص) ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . فاذا كان رسول الله يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء لقوم التسي جعلت مصائد واشترাকা للقلوب ، وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم اشرف من الخادم . والاخبار في التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يوتى عليها ..

واذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغات الاوربية ، من حيث ان الجملة في الاخرة اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا يتقدم الفعل فيها الا شفوذا في حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على انتظار ، فان القول في الذهن العربي ، هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ، ومن هذا يتساوى « القول » و « ان نقول » في الادراك الصحيح (91) .

على ان الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية ، وليست مع وجودها قليلة الاستعمال في موضعها فليست تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقرب للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح لموقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السامع . وتلك اخص الخصائص في لغة الاعلام .

فاننا نقول « محمد حضر » اذا كنا ننتظر خبرا عن محمد او عن حضوره على الخصوص ، ولكننا نقول « حضر محمد » ان يسمع خبرا من الاخبار على اطلاقه ولا يلزم ان يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره محمد ، او لعله خير سفر وليس بخبر حضور او غير منتظر (92) .

(91) المقاد : اشتمات مجتمعات — ص : 57 .

(92) المرجع السابق — ص : 60 . (N.Y.) 1961 . Bond, F. Fraser : "An introduction to journalism"

(93) المقاد : اشتمات مجتمعات — ص : 62 .

(94) المقاد : اشتمات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .

الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للجهول .

ويظهر الفارق في الدلالة على المعاني المختلفة عند استخدام الفعل في الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهه ان يعرف من الذي فتح الباب .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها — أيضا الى سامع يهه ان يعلم شيئا عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه يعرفه ولا يريد ان يفكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهي حالة انسان منتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه ان يقول له المتكلم انه يجمله او يسكت عنه .

في هذه الحالة يقول العربي : « انفتح الباب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التي ينتظر فيها السامعون خيرا عن فاعل الفتح ، معلوما كان او مجهولا او مسكوتا عنه مجهولا او مسكوتا عنه مع علم السامع به تمعدا لاختائه او لاماله .

واللغة الدقيقة التي استوفت وجوه الدلالة — هي كما يقول الاستاذ العقاد (95) — اللغة التي نلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاثة ، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذي لا لبس فيه .

وهذه هي صفة اللغة العربية في وفائها بالمعنى المتصودة في الاتصال الاعلامى على حسب ارادة المرسل والمستقبل ، او على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين .

وهذه الصفة في اللغة العربية تميزها بما يمكن ان نسميه « الدينامية » او الحركة ، التي تجعلها اصلح اللغات لطبيعة الاعلام ، وتمنحها طواعية في ايراد حادث وقع حالا يبعث على اهتمام القراء به .

كما تتمكن من اعلام القراء بكل ما يريدون ان يلمسوا به من سرد صحيح موقوت لاحداث وكثير من آراء وامور من اى نوع تؤثر في القراء او تثير اهتمامهم .

فاللغة العربية بذلك تضم في ثناياها اخص خصائص لغة الاعلام ، وهي العلاقات المتغيرة بين الانسان والانسان وبين المرء وبينه ، اجتماعية او اقتصادية او سياسية او مادية او غير ذلك من العلاقات .

وعلى ذلك فان في اللغة العربية طواعية تمكنها من الاجابة على الاسئلة التي تجول في خاطر رجل الاعلام دائما وهي : « ماذا حدث » و « ماذا يجرى الآن » ؟ « والا من جديد ؟ » « ائمة ما يثير » « اهنالك ما يسؤن بجديد ؟ » .

ومرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية الاصلية في اللغة العربية ، والتي تبين من تكييفها وفقا للتواليب الاعلامية المختلفة ، بحيث استخدمت في الصحافة الحديثة ، وفي الوسائل الاعلامية المستحدثة ، ولم تقع في اخطاء لغوية كالتى تقع فيها اللغات الاوربية ، حينما تتحرر من بعض القيود اللغوية ، ولا سيما عند صوغ العنوانات المختصرة .

ذلك ان الخصائص التي تتميز بها لغة العرب استوفت وجوه الدلالة على ما نعلم ، في ملاحظة مقتضى الحال ، وقد رأينا من ذلك مثلا خاصتها في المبني للجهول ، ووجدنا العربية تثبت للفاعل درجاته وانواعه بدقة نبعت من منطق اللغة الذي يفهم بالقياس كما يفهم بالسماع والتوقيف .

ولذلك فإنا عند ما نقول في مغطيات هذا الفصل : ان اللغة الاعلامية هي اللغة العربية الفصحى نعنى ذلك جميعا ، على تقيض ما يذهب اليه البعض فى اللغات الاوربية (96) من ان لغة الاعلام لغة الفن الصحفى بالذات مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الاصلية الفصيحة .

والاعتراضات التي تثار حول اختيار عبارات العنوانات في الصحيفة هي اعتراضات اقرب الى الجوهر منها الى القالب ، فاللغة في العنوانات لا يقصد بها الا عرض الخبر عرضا موجزا ، اما الخبر نفسه فينبغى الا يكتب بهذا الاسلوب الموجز . على ان اللغة العربية بمرونة خصائصها ، تمكنت من تجاوز هذه الاعتراضات لانها لغة تتميز بالايجاز

(95) العقاد : اثبتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .

(96) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 15 .

والوضوح والنفاد المباشر والتأكيد والاصالة والجللاء
والاختصار والصحة .

وذلك ما عنيناه من قولنا : ان اللغة العربية ، لغة
معرفية .

اللغة العربية وظيفية هادفة :

ويبين مما سبق ان اللغة العربية تمتعت بخصائص
اعلامية ، تجعلنا نلاحظ انها تتفق مع غايات الاعلام
الحديثة من حيث انه اداة وظيفية ، وليس فنا جماليا
يقصد لذاته ، لانه يهدف الى الاتصال بالناس ونقل
المعنى والافكار اليهم .

وذلك ما نريد ان نذهب اليه من قولنا : ان اللغة
العربية ، وظيفية هادفة ، لانها كما رأينا لغة معرفية
تهدف الى الاعلام والتفسير والتوجيه والتنشئة
الاجتماعية .

فان من خصائص هذه اللغة العربية في تعبيراتها ان
الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالاتها الشعرية المجازية
ودلالاتها العلمية الواقعية في وقت واحد بغير لبس بين
التعبيرين .

فكلمة الفضيلة تدل بغير لبس على معنى الصفة
الشريفة في الانسان ، ولكن مادة فضل بمعنى الزيادة
على اطلاتها لا تفقد دلالتها الواقعية على المواد
المحسوسة ، بل يصح عند جميع المتكلمين والمستمعين
ان ينهوا « فضول » القول على انه وصف غير جيد ،
لان الزيادة في غير جدوى تخالف الزيادة المطلوبة اذا
كان المقام مقام القول في صفات الكلام .

ولا يصعب الجمع بين التعبير الواقعي والتعبير
المجازي الشعري في مئات من الكلمات تجرى على
الاسنن كل يوم وتؤدي الى السامعين معانيها النظرية
الفكرية ومعانيها الحسية في وقت واحد بغير لبس
بين المقصود في كل مقام . فاللغة العربية اذن تستطيع
ان يكون لها تعبيرها الذي يناشد حاسة الجمال لدى
القراء ، وتتضمن ايضا اتصالا ناجحا اساسه الوضوح
والسهولة ، والوظيفة الهادفة ، وسليقة اللغة العربية
الاعلامية تكاد تجعل منها فنا تطبيقيا قائما بذاته ،
لتصبح تعبيرا اجتماعيا شاملا في الاتصال الجماهيري ،

لانها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافي من
علم وفن وموسيقى ، الخ .

هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد
والموضوعات العامة . فاللغة العربية تمتاز بدقة تعبيرها
والقدرة على تمييز الانواع المتباينة والامراد المتفاوتة
والاحوال المختلفة سواء في ذلك الامور الحسية
والمعنوية .

ومن امثلة ذلك ان : المشى عام ودرج للصبى
الصغير ، وحبا للرضيع ، وحجل الغلام ان يربح
رجلا ويمشى على اخرى ، وخطر الشاب باهتزاز
ونشاط ، وولف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربة ،
وهدج مشى مثقلا ، ورسف للمقيد ، واختال وتجتر
وتخلج واهطع وهرول وتهادى وتلود انواع
من المشى (97) .

والنظر علم ، ورمقه نظر اليه بجماع عينيه ،
ولحظة نظر اليه من جانب اذنه ، ولحه نظر اليه
بعجلة ، وحده ونظر اليه شزرا اى نظر العداوة ،
واستشف الثوب رفعه لينظر الى صفاقته ، واستكته
واستشرفه نظر اليه واضعا يده على حاجبه من
الشمس ، وصدق جمع عينيه لشدة النظر وتصنع نظر
في كتاب او حساب ليكشف صحيحه من سقيبه .

والطيران عام ، والسدف والاسفاف والرمرفة
والتحليق والتدويم والريف انواع مختلفة له .

فالدقة في العربية ، دليل على بلوغ اصحابها درجة
عالية في دقة التفكير ولكنها خاصة اعلامية حين نقول
انهم يتصفون بمزية الوضوح وتحديد المقصود تحديدا
يقنضيه المنطق العلمى ولا يمكن ان تكون اللغة البعيدة
عن الدقة المتصفة بالمعوم او الابهام او الغموض اداة
للتعبير الاعلامى الدقيق ، ولا بد من التقابل في الخصائص
والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوى
والدقة في التعبير اداة لا يد منها لرجل الاعلام ، صحفيا
كان ام اذاعيا ، لتصوير دقات المعلومات وابرازها
في جوانبها الخاصة المتميزة ، وصفاتها القابلة على
الوظيفية الهادفة .

ونحن اليوم احوج ما نكون الى بحث اللفظ الدقيق
من لغتنا واحياء الفروق بين الالفاظ لتكون لدينا لغة

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم
الفنى الهائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجهاير .

ذلك ان العربية قد اصبحت فى عصور الانحطاط
بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لانفقاد
وظائفها الهادفة فى هذه العصور ، فضاعت الفروق
الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فعدت مترادفة وكثر
استعمال « الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن
معانيها الاصلية فمضاع الفكر بين الحقيقة والخيال
وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة واصبح
لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة
من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة او موضوع
تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك
الموضوع فاذا كان الموضوع وصف حقيقة او تعزية
صديق او التعبير عن فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا
كانت تلك الحقيقة وفى اى بلد وايا كانت مناسبة
التعزية او الفرح (98) . وفى ذلك قتل لخصائص اللغة
العربية ومزاياها الاعلامية من ابراز المقومات والمزايا
الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون
هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق
بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابسى
هلال العسكري وابواب الفروق من كتاب ادب الكاتب
لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار
العربية » للثعالبي .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية
الاعلامية فى لغتهم ، فيضعون الالفاظ فى مواضعها
ويحرصون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل
الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بها لا تتناول سواها
بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة او اداة او
طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية فذكرها
باسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصص بين انواعها
المختلفة فمن ذلك التخبوط والجوانفة والشلطة
لضروب من السمك ، والجعفرية لضرب من السفن ،

والسرجة والمصباح والتنديل ما يستصبح به ، والمصام
ما تسد به القوارير ، والكباح للعلل الذى ينظف
المثاعب والمجارى ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع
للطريق الضيقة بين المنازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتّاب
العربية فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون
الاربعة الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف
البغدادي (557 هـ — 629 هـ) فقد كان دقيقا فى
ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها
« الامادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر
وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث فى الانسان الدهشة
والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف الياضية : « وهى
ثمر بقدر ابهام اليد ، كانه جراء (100) القثاء ، شديد
الخضرة ، الا ان عليه زيرامشوكا ، وهو خميس
الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة
ايبات بينها حواجز وفى تلك الايبات حب مصطف ،
مستدير ابيض اصفر من اللوييا ، هس ، يضرب الى
الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة (101) » .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق فى كلياته وصف
البغدادي فى رحلته هذه سائر ما شاهده فى مصر من
النبات والحيوان ومعالم العمران والاكثر القديمة وانما
كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها
الدقيقة فى دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التى استخدمها كتاب
العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام
يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث
الهجرى — بان يكون اول صحفى ممتاز او انه عاش
فى القرن الذى نميش فيه . يقول الدكتور ابراهيم
امام : (102) . « يمكن النظر الى ادب الجاحظ فى
مجموعه على انه ادب تتوفر فيه الكثير من خصائص
الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس
فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه فزير الانتاج الى
درجة تلفت النظر ، ونتاجه وثيق الصلة بالانكار
فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

(98) محمد المبارك : خصائص العربية ص 62 .

(99) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب النجلاء للجاحظ — ص : 38 .

(100) جراء جمع جرو الصغار من كل شئ .

(101) عبد اللطيف البغدادي فى مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — ص 20 .

(102) دراست فى الفن الصحفى — ص : 33 .

وتقاليد اجتماعية . لقد كان الجاحظ موسوعى المعرفة
دقيق الملاحظة ، سلس الأسلوب ، قوى المعارضة ،
ساخرا متحكما ، ولكن دون مرارة .

واهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا
يجسم افكاره ، تجسيما مشوقا اخذا ويكتفى ان نشير
الى رسالة التربيعة والتدوير التي وصف فيها احمد
بن عبد الوهاب لكى نبين عبقرية الجاحظ في فن
الكاريكاتور القلمى . فضلا عن ذلك ، فانك تلمح
في كتابات الجاحظ حبا للحياة ، ولما بالناس ، وتقديرا
للإنسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الافكار الجيدة
ولكنه اديب اقرب الى الصحفي ، يكتب عن المجتمع
بأسلوب رشيق سلس اخاذ .

وبمقارنة الجاحظ بزمعاصريه ، نستطيع ان ندرك
خصائص أسلوبه القريب من الصحافة ، فابن المقفع ،
مثلا اديب وادبه خلاصة مطالعته وتجاربه وتجارب
اسلافه من البيئة الفارسية القديمة . وهو يسلك في
كتابة ادبه طرقا فنية خالصة ، وهى تعبير مجازى
ممتاز ، كان يتدث على السنة الطير والحيوان ، ويعتمد
على الصور البيانية الرائعة ، ولكنه مستوى اديبى
جبالى يرتبط بالرمز القنى ، ولا يتصل بالواقع العلمى
الاتصالا يسيرا .

التمنجة والدقة في اللغة العربية :

تقدم اننا نعنى بالتمنجة في لغة العرب انها لغة دالة
والتمنجة والتبسيط من اهم سمات لغة الاعلام التي
تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كبا لو كانت
وحدات مستقلة وهى تمنجة مقصودة لاسباب خارجية
اهمها التبسيط للجواهر التي تحتاج الى الفاظ تعبير
عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية
والاقتصادية والافكار العامة التي نشأت في الحياة
الانسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى
الالفاظ العامة ، والانماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير
عن هذه المعانى العامة في الميدان المادى والمعنوى منذ
عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى
العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة
الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما في حياتها وتطورها
ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى
سعة الاشتقاق في اللغة العربية على قواعد التي
تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان
الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل
عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما ،
فيأتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه
وتصلح المادة الواحدة اساسا كاملا من المعانى المتفرعة
عليها (103) .

ويأتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة
اللغوية او يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها
في بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار
ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه
والمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة وليست
الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من
اصلها ارتجالا او محاكاة لصوت او تلفيقا للاجزاء
من مختلف المواد .

ولا يحتمل العتل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء
صيغ المصدر للمرة او للهيئة او للدلالة على
الجمع أو الجنس المجهول ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة
بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم
المفعول والصفة اللازمة ، والصفة المرتبطة بالحدث
والزمان (104) .

فالتكلم المميز هنا هو صاحب الشأن في تصريف
المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره ،
واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق
القواعد التي يتبعها تكوين المفردات ، قبل ان تعرض
لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات او انشاء
الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تاتى للمتكلم بشئ
جديد يحتاج الى لفظ جديد ، ولذلك لم تضع الرابطة
الاشتقاقية بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها

(103) العقاد : « اشتات مجتمعات » - ص : 100 - 101 .

(104) نفس المرجع - ص : 102 .

ندلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشعيرة ، الخ ..
وتقوم النماذج في اللغة العربية كذلك على اساس
كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي
ما يؤدي غالبا الى انقراض معناها الحقيقي وحلول
هذا المعنى المجازي محله . فمن ذلك مثلا في اللغة
العربية كلمات **المجد** وال**امن** وال**وغي** وال**فغفران**
وال**عقيقة** ، الخ - فال**مجد** معناه في الاصل امتلاء بطن
الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا في الامتلاء
بالكرم حتى انقراض معناه الاصلى واصبح حقيقة في هذا
المعنى المجازي ، ولهذا السبب نفسه انتقل معنى
« **الامن** » من قلة لبن الناقة الى نقص العقل ، وانتقل
معنى « **الوغي** » من اختلاط الاصوات في الحرب الى
الحرب نفسها ، الخ ..

ان هذه الخاصة في اللغة العربية من نمذجة للمعاني
بهدف التبسيط في شكلها المتسع المتنوع الموجود في
العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية . كمعنى **الفاعلية**
و**المفعولية** و**المكانية** ، وهي ليست انما ثابتة لا
تتغير ، ولكنها ترتبط بالتطور الفكري والاجتماعي
وحاجته الى نماذج او انماط جديدة ، وقد حدث شئ
من هذا في تاريخ العربية ، فقد استعمل في العصر
العباسي ما سموه بالمصدر الصناعي كالانسانية
والحيوانية . وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة
لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية
والاشتراكية وغيرها .

ان اوزان العربية وابنيها هي احدى مقوماتها
وخصائصها المميزة ، وهي كما تقدم تقوم بوظيفة
اعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التي تستعمل
للغرضين كثيرة في اللغة العربية وليست بهذه الكثرة
في اللغات الاوروبية .

العربية لغة الاعلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات ان اللغة العربية
تتضمن في ابنيها وتراكيبها والفاظها خصائص اعلامية:
فهى لغة معرفية ، تقوم على الوظيفية الهادفة وتتضمن
اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة والسلاسة
والتبسيط ، فهى لغة عملية تعبر عن الحياة والحركة
والعمل والاتجاز ، لانها لغة قوم يتلازم عندهم القول
والتفكير والعمل في حياتهم : فقول العريسي تفكيره ،

وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها ،
فكلمة « **طائرة** » و « **سيارة** » و « **هاتف** »
و « **اشتراكية** » ولدت في هذا العصر ، ومع ذلك فان
الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين « **طائر** »
و « **مسير** » و « **هاتف الجن** » و « **شرك** » مع ان بين
ميلاد تلك الالفاظ وقربياتها هذه مدة تزيد على خمسة
عشر قرنا ، ولا نزاع في ان منهج اللغة العربية في
الاشتقاق قد زودها بفخيرة من المعاني والنماذج لا
يسهل اداؤها في اللغات الاخرى ، في نطق التركيز
الاعلامي الذي هو شيمة الاسلوب العربي الاصيل .

فالالفاظ المنتسبة الى اصل واحد تشترك في قدر من
المعنى وهو معنى المادة الاصيلة العام كالطيران في
طائرة والسير في سيارة وتسير والاشترار في الشرك
والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتداول ان العنصر
الثابت من اللغة ، والمكون من جزء ملدى هو الحروف
الثابتة في مادة الكلمة وجزء معنوي هو معناها العام ،
هو اداة النمذجة ووسيلة الاتصال بين جماهير الامة
العربية :

واذا كانت النمذجة في لغة الاعلام لا تقتصر على
الشخصيات بل تتجاوزها الى الإنكار والمذاهب
والمعتقدات . بحيث أصبحت هناك افكار ثابتة عن
الشيوعية او الرأسمالية ، ويتلقى الجماهير ثقافتها
ومعلوماتها من خلال هذه النماذج ، فقد كانت العربية
من اوائل اللغات استخداما للنمذجة عن طريقي
استخدام العام مثلا في بعض ما يدل عليه ، لسبب
اجتماعي ما ، يزيل تقادم العهد عموم معناه ، ويقتصر
مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله . ولدينا
في اللغة العربية آلاف من امثلة هذا النوع .

فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول
ثم شاع استعمالها في الاسلام في معان خاصة تتعلق
بالمعتقد او الشعائر او النظم الدينية : كالصلاة والحج
والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود...
الخ - فالصلاة مثلا معناها في الاصل الدعاء - كما
جاء في القرآن الكريم : « وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم » - ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة
المعروفة لاستعمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى
اصبحت لا تتصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى.
والحج معناه في الاصل تصد الشئ والاتجاه اليه ،
ثم شاع استعماله في تصد البيت الحرام ، حتى اصبح

روح الامة العربية وتجاربها المتراكمة المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وتدلل كذلك على الذهن العربى المتمتع بالنقاء والصفاء ، والتفتح والانطلاق ، وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت في مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجد في اقوال العرب : اللفظ المعبر ، المسؤول عن وظيفته في الجملة والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها ووظيفتها في تأدية الفكرة ، وايضاح المعلومات .

وتفكيره بدء لعمله . ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلى زهير احد شطرى الانسان اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف مؤاده » .

تلك بعض السمات فى اللغة العربية ، هى اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريف ان هذه اللغة الحية هى نفس اللغة التى اقتربت من الادب عند الجاحظ ، بأسلوبها السهل المتمتع القوى المعبر ، المتدفق فى حيوية وايقاع.

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية - وهى وعاء العقل العربى - تتميز بخصائص اعلامية نشأت فيها من



الفصل الخامس

الاعلام واللغة المشتركة

تقدم ان الوسيلة الوحيدة الفعالة في الاتصال الاعلامى والجهاميرى ، والتي نتمكن بها من ادراك معنى الحياة ، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هي اللغة المشتركة والتي تمثلها لغة الاعلام .

فاللغة المشتركة تمثل في كل الاحوال روح الشعب ، على حين ان الادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة قد يكون عاكسا للتاثيرات الخارجية والاجنبية.

واللغة العربية — كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى — هي صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهمى قومية الفكر ، تتحد بها الامة في صور التفكير ، واساليب اخذ المعنى من المادة . والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في اهلها ، وعمقا هو عمق الروح ، ودليل الحس على ميل الامة الى التفكير والبحث في الاسباب والعلل .

والتأمل في طبيعة اللغة العربية ومزاياها في الفن والتعبير ، يكشف صفات اساسية في هذه اللغة ، تميزت بها خلال مراحل تاريخها الطويل .

فاللغة العربية تضمنت مزايا وصفات اعلامية في حروفها ومفرداتها وتراكيبها ، لانها كانت لغة مشتركة منذ كان للعرب قبل الاسلام اسواق مشهورة تقام في اشهر مختلفة من العام ، لا للبيع والشراء فحسب ، بل ايضا لتحقيق نوع من الاتصال الجماهيرى عن طريق المساجلات والمناظرات بين كبار الشعراء ، وفصحاء الخطباء ، اولئك الذين كرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة والسو بأدابها .

وهؤلاء هم الذين تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بسورة من مثله . اى ان تلك الاسواق كانت بمثابة مؤتمرات اتصالية ، فيها ينشد الشعراء ما توجد به قرائحهم وفيها يبرز الخطباء داعين الى مذهب سياسى او دىنى بين القبائل المختلفة .

وكانت هذه اللغة الادبية — كما يقول الدكتور ابراهيم انيس (105) — بمثابة لغة مشتركة بين العرب

جميعا ، يتخذونها اداة التعبير عن آدابهم ، ويعتزون بها كل الاعتزاز . ولهذا نزل القرآن الكريم بها ، فلم تكن لغة قريش وحدها بلغة مكة وحدها ، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعا . غير ان نزول القرآن بها قد زادها ازدهارا فوق ازدهار ، وثبت اركانها ودعائمها .

ولهذه اللغة المشتركة صفتان :

اولاهما : انها خاضعة لقواعد معينة تباعد ما بينها وبين التطور الا ببطء شديد وفي زمن طويل ، وهى لهذا اسمى من لهجات الحديث اليومي المعتاد المتداول في المنازل والطرقات والاسواق ، ولذلك يصطنعها من يريد اجادة القول واتقان الاداء ، كما يصطنعها رجال الاعلام والاتصال بالجماهير على اوسع نطاق .

وثانيهما : انها — كما عبر هنرى سويت — اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحيطة التى ينتمى المتكلم بها (106) .

ويتضح من ذلك ان اللغة المشتركة — مع انها نشأت في البدء على لهجة منطقة معينة — قد فقدت مع الزمن عناصرها الاولى ، او نسي المتكلمون بها ينابيعها التى نبعث منها ، فصارت ذات كيان مستقل وشخصية متميزة ، فلا يذكر المتكلم بها او الذى يسمعها منطقة معينة ترجع اليها او طبقة تبت اليها ، بل يشعر انها ملك مشاع للجميع ، كأنهم صانعوها بغير فضل يمتاز به بعضهم على بعض .

وفي ذلك ما يؤكد اعتزاز المتكلمين بها ، واتخاذهم لها وسيلة للتعبير الاعلامى والاتصال الجماهيرى .

وهناك عوامل مهدت للغة العربية المشتركة : منها الدين ، فالقرشيون يقيمون بواد غير ذى زرع وهم مفتقرون الى ان تهوى الى البيت الحرام افئدة النخس . وقد استجاب الله دعاء سجيننا ابراهيم ، فجعل الكعبة وكاتت القبائل التى تفد على مكة للحج ذات لهجات ، منها الجيد ، ومنها الردي . وكانت قريش تسمع الوافدين ، وتستصنى من لهجاتهم ما يرومها ، وكان

(105) « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 276 .
(106) ابراهيم انيس : « مستقبل اللغة العربية المشتركة » — ص : 5 .

الوافدون ينتقلون عن قریش ، وبيشون في الجزيرة ما نقلوا (107) .

ومنها التجارة ، فقد كان القرشيون يرتحلون في كل عام رحلتين :

رحلة في الشتاء الى اليمن ، ورحلة في الصيف الى الشام ، واحيانا يضربون في الارض ، ويمشون في مناكبها الى فارس والى الحبشة ، وهم قوم صناعتهم الكلام ، سرعان ما يضيفون الى لغتهم ما يفزيها ، ويزودونها بما ينميها ويرقيها .

وظاهرتها المكتاة الاجتماعية التي استمدتها قریش من نفوذها الديني والاقتصادي ، حتى قال ابو بكر في رده على الانصار يوم السفينة مؤيدا حق المهاجرين في الخلافة : « وهم اولياؤه وعشيرته ، واحق الناس بهذا الامر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك الا ظالم » ، وقال في خطبته الثانية : « لا تدب العرب الا لهذا الحى من قریش » (108) .

وكان لذلك جميعا اثره في نشأة لغة مشتركة ، قامت اصولها على لهجة قریش وسكان مكة ، وان لم تخل من لهجات اخرى لكثير من القبائل ، ثم جعلت هذه اللغة المتطورة تزداد على مر الزمن نساء وصقلا ، وجعلت تنتشر في اصقاع شبه الجزيرة ، حتى صارت لغة الادب التي يصطنعها الشعراء ولغة الاتصال بالجمهير التي يصطنعها الخطباء مهما تختلف قبائلهم وتعمد لهجاتهم .

فلما اشرق الاسلام كانت هذه اللغة المشتركة قد بلغت درجة الرقى والوحدة اعدتها لان ينزل بها القرآن الكريم ، فتمت به الوحدة اللغوية بين العرب .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتصل بالوفود العربية من جهات شتى ، ويراسل الامراء في الجزيرة وما حولها ، ويمقد المعاهدات مع كثير منهم ، ويتلو القرآن الكريم على قبائل من اصقاع متباعدة ، ويبعث مندوبيه الى شتى النواحي لتعليم القرآن الكريم ونشر الدين وجبلة الزكاة ، والقضاء بين الناس ، وفي

كل هذا كانت اللغة العربية المشتركة هي وسيلة التعبير .
وحينما تمت الفتوح الاسلامية في الامصار وما وراء الامصار ، انتضرت العربية على اللغات الاجنبية المفروضة على شعوب المنطقة ، سواء في المشرق او في المغرب ، ويكاد المؤرخون الغربيون انفسهم يجمعون على ان هذه اللغات صفت من المنطقة في القرن الاول للاسلام .

« ان خمسة قرون من الاحتلال الروماني - لاقطار العرب - لم تستطع ان تترك ما يصمد امام العقيدة الاسلامية واللغة العربية » (109) .

وفي مصر حيث استفرقت عهود السيطرة الاجنبية اكثر من الف ومائة عام قبل الفتح العربي لم تجد الجهود التي بذلها الغزاة على ذلك المدى الطويل لفرض ثقافتهم عليها ، ولم تصمد اليونانية التي كانت استاثرت بالجمال الثقافي والرسمي ثلاثة قرون قبل الميلاد (30.333 ق م) وثلاثة اخرى بعده (616.284) امام اللغة العربية (110) .

ولم يبد ان العربية واجهت في اى قطر من المنطقة اى مقاومة من هذه اللغات الاجنبية ، وانما كانت المواجهة مع اللغات الوطنية للشعوب التي دخلت في الاسلام (111) .

ولا نغالى حين نقرر ان اقبال الناس في بعض الامصار على اللغة كان اسرع من اقبالهم على الدين . وهكذا اصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغة عالمية ، تنتظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال افريقيا ، كما سادت في بلاد الاندلس عدة قرون ، وحرص العلماء والدارسون منذ القرن الثاني الهجرى على تعقيد قواعدها وتثبيت دعائمها في الامصار فلم يكذب ينتهى هذا القرن حتى كان لها آثار جلية في شتى الدراسات الدينية واللغوية (112) .

وظلت اللغة العربية في نهضتها الادبية حتى بعد استقلال الدويلات الاسلامية عن الدولة العباسية والتي

(107) د . احمد محمد الحوفي : وحدة اللغة والوطن في الشعر الحديث - ص : 8 .

(108) المرجع السابق - ص : 9 .

(109) ابراهيم حركات : « المغرب عبر التاريخ » - ص : 75 - ط : السلمى بالدار البيضاء .

(110) هارولدبلى : « الهلينية » في مصر - ص : 55 - ترجمة د . زكى على (959) .

(111) د . عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » - ص : 61 .

(112) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القوميات العالمية » - ص : 276 .

ظلت تدبر بالولاء للخليفة العباسي في بغداد ، تأكيداً للصلة الروحية . فلما كان القرن الرابع الهجري شهدنا شعراء وكتبا للآداب العربية لا يقلون قدرا عن الذين كانوا في القرن الاول او الثاني من الهجرة ان لم يتفوقوا عليهم .

واللغة العربية ماضية في حريتها تتسع وتنمو وتلقى جديد الرواند في مرونة سخية ، وحراسها ساهرون عليها لحماية اصالتها .

واخذت الحياة اللغوية مجراها في جانبين (113) : الفصحى العالية المشتركة ، لسان العربية دينا ودولة وثقافة وعلما وادبا .

ولهجاتها الاقليمية على السنة الشعوب المستعمرة. اما الفصحى ، فكانت اللغة العليا المشتركة لشعوب تباعدت اصولها واختلفت اقاليمها وتفاوتت امزجتها وميراثها الفكرى والثقافى والحضارى وتميزت مدارس معروفة في النحو والبلاغة في الكوفة والبصرة وبغداد ومصر . واضطلع المغرب بدور جليل في الدراسات الاسلامية لموقعه الهام على تخوم دول مسيحية .

وانتمت العربية لهذه الأناق المترامية ، فكانت لغة العلم والثقافة والادب لشعوب الدول الكبرى .

وقد استطاعت العربية بمرونة فائقة ، ان تتحاشى ازمة موقفها بين القديم الاصيل والمحدث الطارئ ، بتطويع دلالات الالفاظ والتوسع في المجاز ، لكى تؤدى المعانى الجديدة التى لم يكن للعرب عهد بها من قبل . وكانت تجربتها التى اثرتها بالمصطلحات والالفاظ الاسلامية من عصر المبعث الى عصر الفتوح ، قد نجحت تماما في هذا التطويع للغة الجاهلين الوثنيين ، دون ان تجد مشقة او عسرا لتكوين لغة الامة الاسلامية (114) .

واما اللهجات الاقليمية فقد اخذت حريتها في الحركة والتوسع ، فتختلف عن كثير من قيود الاعراب مستغنية عنها بنسق التركيب ودلالة السياق . وطوعت الصيغ لمواجهة عوامل صوتية جبرية فرضتها طبيعة الاجهزة الصوتية لشعوب تفاوتت مسالكها اللغوية وميزاتها

في الاداء مع اتصالها في الوقت نفسه بالفصحى العليا في لغة القرآن الكريم ومن ثم اتيح للعربية هذا الانتشار الواسع وطاعت بها السنة الشعوب المتعمرة مستغنية عن الدرس والتلقين .

سمات اعلامية في اللغة العربية :

واتسمت العربية منذ تلك النهضة العظيمة بسمات اللغة الاعلامية ، فهى :

اولا : لغة مفهومة لدى العامة ، حيث لم تحل اللهجات الشعبية دون فهم نصوص الفصحى ، فالجواهر التى تصلى الجمعة في المساجد الاسلامية على المساحة الكبرى كانت تفهم خطب الائمة والوعاظ دون شرح ، وقادة الجيوش في المعارك الاسلامية ضد الغزو الصليبي والتتار ، كانوا يخطبون في جنودهم باللغة الفصحى ، وشعراء الحروب الصليبية ومعارك التتار وخطباؤها الهجوا وجدان الجماهير بقصائدهم وخطبهم بالفصحى ، ودعاة المذاهب والفرق ، يتصلون مباشرة بالعامة ، ويؤثرون فيهم بالكلية ، وما كانوا يتكلمون الا باللغة العربية المبسطة .

ثانيا : لغة ديمقراطية ، لا تخاطب الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير المفرد وضمير الجمع ، فيقول الله سبحانه وتعالى : « انا ربكم الاعلى » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « انا انا بشر مثلكم » ، ويقول له الناس : « ما انت لا بشر مثلنا » ، الى غير ذلك من اساليب اصيلة في العربية سوت بين الناس في الخطاب والغيبة والتكلم.

ثالثا : لغة عالمية ، حيث اصطنعتها شعوب متعددة، منذ استقرت الدولة العربية في اواخر القرن الثانى واولئ الثالث من الهجرة . فاخذت بالطابع العربى دينا ولغة وثقافة وحضارة وقد صهرت كل تلك الشعوب التى كانت في آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا في البوتقة العربية وتآلف منها في نهاية الامر شعب عربى واحد ، يدين بدين واحد ويصطنع لغة واحدة ، هذا الى ان العربية دخلت ايضا مناطق نائية من الدين الاسلامى ، واصبحت هناك لغة الثقافة الدينية ، كما

(113) عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » - ص : 71 .

(114) السيوطى : « الزهر في علوم اللغة » - ص : 294 وما بعدها .

هو الشأن في بعض جهات الهند ، وفي باكستان وافغانستان والملايو واندونيسيا ، وغيرها من دول الشرق التي انتشر فيها الاسلام وانتشرت بانتشاره اللغة العربية وخلت العربية كذلك جهات من افريقيا اعنتت الاسلام واصبحت الآن تعرف بالدول الاسلامية في وسط افريقيا وشرقيها وغربيها .

وقد اتجهت هذه الدول الاسلامية صوب العربية تستمد منها الثقافة الدينية والحضارة العربية ، مثل موريتانيا ونيجيريا والصومال . وهكذا نرى ان العربية قد ذاعت في مناطق متباعدة الاطراف ، وان اصبحت من بين اوسع اللغات انتشارا في العالم . ويعددها المحدثون من اللغويين ثلاثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة منطقتها (115) .

رابعا : رحبت العربية في اوج نهضتها بكثير من الالفاظ التي اقترضتها من اللغات الاخرى ، واستغلتها في المصطلحات العلمية ولغة الكلام . ويُقدر ما توسعت في الاشتقاق والمجاز ضيقت باب الاخذ من الدخيل ، صونا للسانها ، فاستغنت الى اقصى المدى ، بتطويع الالفاظ الفصحى لكي تؤدي المعاني الجديدة على وجه التجوز ، ولم تلجأ الى استعارة الدخيل الا عند الضرورة القصوى ، مع اخضاعه للصيغة العربية اما باللاحاق او بتغيير نقطه استعازا بانه قد صار ملكا لها .

وقد استطاع علماء اللغة من عصر التدوين ان يتخلصوا قواعد لمعرفة المعرب (116) ، تشهد بان املاز لم يترك لغوضى عشوائية ، بل خضع لقواعد كانت العربية تجري عليها فيما تأخذه من اللغات الاخرى .

خامسا : لغة مشتركة ، وتلك ظاهرة عميقة الاثر في حياة الانسانية . فلغة اى مجتمع صغر او كبير ،

هي ترجمان عواطفه ومشاعره وافكاره واخباره واهدائه ، وسجل تاريخه وتراثه وابنه ، والحبل الذي يصل حاضره بماضيه ، وطريقه بتالده . والاشترك فيها هو الاساس الاول للتعاطف والتعاون والشعور بالمواطنة والقومية (117) .

وهذا الركن في ذاته مصدر من مصادر اعتزازنا بان لغتنا لغة اعلامية ، فلفتنا من اغنى اللغات الكبرى تراثا ، واطولها عمرا ، وابقاها على الزمن اتصالا ، وقد وسعت ما وصل اليها من معارف الاقدمين في الماضي ، هي الآن تثبت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الانساني الحديث ، بل انها تشارك بانتاجها في تنمية الثروة الادبية والعقلية للعالم المعاصر .

والعرب الذين يتكلمون بلغة مشتركة لا يقولون عن 95 % من سكان الوطن العربي ، والباقيون يتكلمون بلغة غير عربية ، او بلغة عربية مختلطة بغيرها كالاكراد والشركس والارمن والبربر ، وهذا المعدد القليل بالنسبة الى الكثرة العظمى ليس من شأنه ان يخذل الوحدة اللغوية بين العرب .

على ان اللغات غير العربية التي تتكلم هذه الاقلية الضئيلة ستتوارى شيئا فشيئا ، وتحل اللغة العربية محلها في زمن ربما لا يزيد على نصف قرن ، بل ان بعضها في سبيله الى التوارى ، لان الطلبة من الاكراد (118) والشركس (119) والارمن (120) والترك (121) في الشام والعراق يتكلمون العربية وحينما يعم التعليم تتضائل لغات الاقلية ، ثم تنقرض ، ولا شك ان اسلام الاكراد والشركس والترك يشد ازر العربية ، ويسرع بها الى التغلب ، فتمت الوحدة اللغوية .

وتنطبق هذه الحالة على بعض سكان السودان وبعض سكان المغرب ، لان بالسودان عددا يتكلم بالزنجية الخالصة ، او بالزنجية-المزيجية بالعربية ،

(115) ابراهيم انيس : « اللغة القومية والعالمية » - ص : 280 .

(116) السببوطى : « المزهى » - ص : 268 وما بعدها - (باب معرفة المعرب) .

(117) ساطع الحمصرى : « محاضرات في نشوء الفكرة القومية » - المحاضرة الاولى .

(118) الاكراد في شمال العراق والشام عددهم نحو ستمائة الف في اكثر من ثمانمائة ملايين الى سكان الدولتين لا تزيد على 7 % .

(119) الشركس في سورية والاردن لا يتجاوز عددهم ستمائة الفا ونسبتهم الى السكان هي 1,3 % .

(120) هاجر الارمن الى الشام من تركيا بعد الحرب العالمية ويشكلون 4 % من السكان .

(121) الترك في العراق وسورية وهم اقل عددا من الشركس .

ولان بالمغرب عناصر تتكلم بالبربرية الصرف ، او بالبربرية المختلطة بالعربية (122) .

واليوم يتقارب العرب تقاربا حثيثا ، وتبرز معالم القومية من نطاق الامل الى نطاق العمل ، ويجتهد العرب في العمل على توحيد الثقافة المشتركة وتقاربها ، وتتصل البلاد العربية اتصالا دائما موصولا متواليا بالدراسة واجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وغيرها .

فلا غرابة في ان تجد الكتب والصحافة المصرية ترحيبا واقبالا في الاقطار العربية كلها ، وان تجد مؤلفات العراق وسوريا ولبنان وغيرها عنانية بها في مصر ، ولا غرابة في ان يتلف العرب في كل مكان لسماع الاذاعة العربية من اى قطر من اقطار العروبة .

الاعلام واللغة المشتركة :

هذه العوامل والخصائص تعاونت على ان تجمل من اللغة العربية ، لغة مشتركة متصلة بالحياة ، قابلة للتطور والتجدد ، وهذه اللغة المشتركة لغة اعلامية قامت على اذاعة الحقائق والوقائع ، حتى اذا نزل بها القرآن الكريم ، اعلن انه « كتاب لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم » .

من ذلك لا يستطيع ان يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على انها دعائية . ولكن يستطيع ان تفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على انها اعلام بانكامل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذى كان يلقيه الشعراء بين يدي صاحب الرسالة — كشمس حسان بن ثابت — لم يكن من قبيل الدعاية للاسلام ولا لنبي الاسلام ، لان الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شئ من ذلك ، بل ان القرآن نفسه فم الشعراء .

قال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، الم تر انهم في كل واد يهييمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » ، هذا ما علمنا بان النبي كان يستمع الى الشعراء ، وكان يثيب بعضهم كذلك (123) .

وقد مثل ذلك في الشرائع والعبادات التى سنها الاسلام كالصلاة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصلاة يوم الجمعة او فى الاعياد للدعائية او الاعلام . ولا كان اجتماع المسلمين فى مكة للحج كل عام للدعائية والاعلان . انما كانت هذه السمات الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للمظاهر او الفخر او الزهو وغير ذلك من معانى الجاهلية .

واذا كان الاعلام الحديث ، قد تطورت وسائله منذ اختراع المطبعة التى لولاها لما ظهرت الصحافة ، اولى وسائل الاعلام الحديث ، ولما استطاعت الصحيفة ان تصل الى آلاف القراء فى وقت معين ، وعلى نمط معين ، فان الناس فى كل زمان ومكان يحتاجون الى تناقل الاخبار ، والى تفسيرها والتعقيب عليها ، وهم بحاجة ايضا الى المادة التى يقرأونها ولكى يتسلوا بها ، ويزجوا اوقات الفراغ . وهل ننكر لكل بيئة متحضرة من بينات العالم القديم ما يسمى « بالرأى العام » ؟ وهل ننكر ان الابداء فى تلك البيئات المتحضرة هم الذين كانوا يتولون التعبير عن هذا الرأى العام بلغته المشتركة ؟ هكذا كان الحال عند الامم القديمة كمصر واليونان والرومان . وهكذا كان الحال فى العصور الوسطى الاسلامية كمصر الخلافة العباسية بوجه خاص . وهل نستطيع ان نتصور ان عصرا كهذا الاخير تعرض لكثير من السوان الصراع السياسى ، والصراع المذهبى ، والصراع العقلى ، والصراع الادبى قد خلا من الابداء الذين تأثروا بهذا الصراع او ذاك ، او كانوا سببا من اسباب حدوثه آنذاك ؟

وفى الادب العربى بنوع خاص وجدنا ان اقتناع الرأى العام كان يسلك فى البيئات العباسية وغيرها من البيئات الاسلامية المتحضرة طريقة واحدة هى طريقة (الرسائل الحرة) يكتبها ابداء وعلماء لهم فى تاريخ الادب العربى شهرة واسعة . وكانوا بشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حيناً ومصدر امن لها حيناً آخر . وهذه الرسائل التى كتبها اولئك الكتاب فى موضوعات السياسة والدين والادب والاجتماع هى — مع التجوز القليل — صحافة كاملة بالنسبة للعصور التى ظهرت فيها (124) .

(122) محمد عزة دروزة : « الوحدة العربية » — ص : 56 .

(123) عبد اللطيف حمزة : « الاعلام والدعائية » — ص : 170 .

(124) عبد اللطيف حمزة : « ادب المقالة الصحفية » — مصر — ج : 1 — ص : 6 — 7 .

ذلك كله في العصور الاولى للادب العربي . اما في العصر الحديث وهو العصر الذي قال فيه شوقي :

لكل زمان مضي آية
وأية هذا الزمان الصحف

فقد ظهرت الصحف ، والصحافة في ذاتها اداة شعبية ديمقراطية اكثر منها اداة رسمية ديوانية . واذا كان لديوان الانشاء اكبر الفضل في تقدم الكتابة العربية في العصور التي اشر اليها ، فقد اصبح للصحافة اكبر الفضل في تقدم النشر الصحفي واللغة الاعلامية في العصر الذي نعيش فيه .

ذلك ان اللغة العربية لغة ديمقراطية كما تقدم ، فأصبح النشر الصحفي ديمقراطيا يجد نفسه واقفا على خدمة الشعب . ومن ثم اصبحت الصحف في عصرنا جادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات آراؤنا وافكارنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وكتابا نقرا فيه اخبارنا ، ونعرف به آثارنا .

واذا كان عالم اليوم يشهد اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله ، وايانا صادقا برسائله واهدافه ، وعملا حادا في سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات يستند اليها وقواعد تحكمه ، فان هذا الاهتمام امتداد للانتصارات التي حققها الانسان في سبيل التغلب على ما يفصل بينه وبين اخيه الانسان من حواجز وسدود وقد شهد القرن الحاضر نهضة كبيرة الاثر في اللغة العربية ، تمثلت في نمو ثروتها بما جد عليها من عشرات الوف المصطلحات العلمية والحضارية ، وفي اتساع آفاقها في التعبير نتيجة لما حققته الحياة العربية الحديثة من تقدم في مختلف نواحيها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفي تجدد اساليبها وتخلصها مما علق بها في عصور ما قبل النهضة من السطحية والزخارف اللفظية المرفقة ، وفي تطوير قواعدها واشتقاقاتها وتطويرها لمطالب الفكر الحديث ، وفي العناية بدراسة ظواهرها على المناهج العلمية التي جاءت مع تطور الدراسات الصوتية واللغوية ، وفي التقارب الملحوظ بينها وبين لهجاتها المحلية نتيجة انتشار التعليم ووسائل الاعلام التي اصبحت عناصر اساسية في حياة الامة العربية .

وعلى ان اهم المتاعب التي واجهت نهضة اللغة العربية ، ولا تزال تواجهها ، هي المشكلة التي نجبت عن وجود لهجات محلية تراحم الفصحى ، وتحد من سرعة نموها وانتشارها ، وتستأثر دونها بالتعبير عن ميادين الحياة اليومية للناس وتحرمها بذلك الافادة من الخصب والتجدد والحيوية التي يتميز بها لسان التخاطب في المجتمع .

واللهجات — كما هو معروف — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للمرب في جاهليتهم لغات ، عملت فيها عوامل التقريب قبل الاسلام حتى انشأت منها تلك اللغة الفصيحة المشتركة ، والتي جاء الاسلام وكتابه العربي المبين فأعطياها شخصيتها السوية الخالدة ، ووجودها العالمي الواسع وان كانت قد بقيت من لغات الجاهلية آثارا نصادفها هنا وهناك في بعض نصوص الادب القديم وكتب التراث ، كما نلمسها في بعض المصادات اللغوية للمتكلمين باللسان العربي الى اليوم (125) .

ومن المعروف ان البيئات الاسلامية ذات الطابع العربي الغالب قد عاشت منذ تلك القرون بنظامين لغويين : نظام للثقافة والعلم والادب قوامه العربية الفصيحة ، ونظام للتخاطب قوامه تلك اللهجات الدارجة التي تجردت من الخاصة الرئيسية للفصحى وهي الاعراب ، وعدت عليها عوادي الاختصار في اشكالها والتخريف في كثير من صيغها ، وتسربت اليها من مختلف الجهات عناصر دخيلة وعامية . وظلت الحال على هذا المنوال طوال العصور : جماهير تنشا على العامية في حياتها ، وتمتلك ناحيتها بطريقة طبيعية لا تحتاج بعد الطفولة الى تدريب او تعليم ومثقفون يشاركون الجماهير عابيتهم في لسان التخاطب ولكنهم في المجال الثقافي يحصلون الفصحى تحصيلا ، ويحفظون قواعدها حفظا ، ويمرون بمراحل طويلة من التدريب ويمسجون ما تنزل به سنتهم واقلامهم من اخطاء في اعراب الالفاظ ، او ضبطها او دلالاتها ، وتختلف حظوظهم من القدرة على استعمالها تبعاً لمعامل النشأة والاستعداد الشخصي والمجال الثقافي الذي يتحركون فيه .

ومهما يكن من بقايا المصرية القديمة في عربية اهل

مصر (126) ، او بقايا البربرية في لهجة المغاربة ، فان هذه البقايا لا تنفى انتماء اللهجتين الى العربية ، الا عند ما يتطورون امكان فهم الشعب المصرى او المغربى ، للغات اسلافه قبل الفتح والعرب .

نلك ان اللهجات العامية لم تحل دون فهم عامة الجماهير لفصحى العربية ، لا في كتابهم الدينى فحسب ، ولكن كذلك فيما يسمعون من قصائد وخطب وانشيد . لان عامياتنا لا تعدو ان تكون لهجات عربية ، تتفاوت وتختلف ، وتظل ابدا متصلة بالفصحى العليا في القرآن الكريم الذى حفظ سليقتها اللغوية ، وفي الخطب المنبرية والسياسية وبالمحافل الدينية والاعياد الاسلامية ، وفيها يشدو به ائمة الطرق من اناشيد صوفية ، وفي حماسيات الخطباء او الشعراء قادت حشود كتابنا في المعارك التى عرفها تاريخنا الطويل (127) .

وكان يمكن ان تستمر الحال في العصر الحديث على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحى واللهجات العامية لولا ان الموقف تغير ، وان عوامل اجتماعية وثقافية وقومية جرت عليه ، ومن اهدبها تطور وسائل الاعلام التى اسهمت في التنبية الى ما خلفه عصر الركود في الفصحى وادابها من رواسب الضعف والسطحية والزخرفة المسرفة والبعد عن واقع الحياة ، واتجهت بلغة العرب الى التزام الوضوح واليسر في استخدام الفاظها ، والتقريب بينها وبين مدارك الناس ومألوف تعبيرهم ، والعمل على تنمية قاموسها ، وربطها بحياة العصر الحديث وحضارته .

ومن الاتصاف ان نقرر ان الاعلام لم يكن وحده في هذا التطوير وانما كانت هناك علاقات تأثير وتأثر بينه وبين مجمع اللغة العربية والمجامع العلمية وجهود افراد والهيئات ومعاهد العلم قطعت اشواطاً بعيدة في اغناء القاموس العلمى والحضارى للغة العرب وفي توسيع طرق تنميتها ، وتيسر قواعدها وكتابتها ، وتصنيف المعاجم الحديثة لها .

ومن الحق ان نفكر ان اصوات الدعاة الى احلال العامية محل الفصحى قد خفتت ، وان تقارباً ملحوظاً

بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية قد حدث ، وذلك من تأثير ازدياد الجمهور القارئ وتطور وسائل الاعلام ، وتنوع فرص اللقاء والاحتكاك والعمل القومى المشترك بين المثقفين والجماهير (128) .

ومن خلال هذا التقارب الذى حدث في الوطن العربى بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية تولد لغة الاعلام لغة الصحافة والمكاتب والتدوين والتسجيل ، لغة الاتصال بالجماهير ، تولد على ايدى الرواد الذين واجهوا صدمة التعامل مع الحضارة الحديثة مثل رفاة رافع الطهطاوى رائد المدرسة الصحفية الاولى في مصر ، والتي كان رجالها مقيدون بقيود الماضى القريب ، حين كان النثر العربى يميل الى السجع وغيره من السوان البديع التى فتن بها ادباء العربية منذ القرن الرابع الهجرى ، وحين كان هذا النثر محبوباً في اروقة الازهر لا يكاد يتجاوز الى الحياة في خارجه . ومن ثم ورث الصحفيون الاولون في القرن الماضى لونا باهتاً من الوان النثر العربى لم يكن خليقاً بان يحتذى ، ولا كان جديراً بان ينسج على منواله . ومع ذلك مضى رجال المدرسة الاولى يكتبون صحفهم بطريقة لا تبعد كثيراً عن هذه الطريقة القديمة ، ولا تكاد تتحرر منها الا في اوقات قليلة ، ثم جاء الوقت الذى سئموا فيه السجع ، وزهدوا فيه البديع ، وكان ذلك ايذاناً بمضى المدرسة الصحفية الثانية ، وهى المدرسة التى نعمت بقسط من الحرية في الاسلوب لا شك في انه كان كبيراً بالقياس الى القسوة الذى نعمت به المدرسة التى سبقتها ، وكان من اشهر رجال هذه المدرسة : اديب اسحاق ، ومحمد عبده ، وعبد الله نديم ، والمولى الكبير ، وبشارة تقلا صاحب الاهرام ومن اليهم .

وعلى هذا فالفرق بين المدرستين السابقتين ان الاولى كتبت بالاسلوب القديم الموروث ، وتحاول انشاء المقال الصحفى ، وتعثرت كثيراً في هذه المحاولة ، وكان اسباب ذلك عنصران واضحان هما :

عنصر الوراثة ، وعنصر آخر هو تصور هذه المدرسة

(126) راجع كتاب الدكتور صبحى : « قواعد اللغة المصرية » وكتاب محمد رضا الشيبى : « الفاظ مغربية » و « رحلة الى المغرب » .

(127) عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » - ص : 99 .

(128) خلف الله : « بحوث ودراسات » - ص : 271 .

تصورا تاما عن فهم الفرق بين لغة الكتب ولغة الصحف ثانية (129) .

وأما المدرسة الثانية ، فانها اخذت تتحرر — نوعا ما — من قيود الاساليب الموروثة ، واصبحت قادرة على انشاء المقال الصحفي بلغة — هي مع ذلك — اصلح لكتابة الادب او الكتب منها لكتابة الصحف . اى ان المدرستين تشتركان في صفة ، وتفتقرتان في اخرى تشتركان في انها لم تصلا بعد الى تفرقة واضحة بين لغة المقال الادبى ، ولغة المقال الصحفي . وتفتقرتان في ان الاولى قصيرة في اسلوبها بقيود الماضى البعيد او القريب ، عاجزة في الوقت نفسه عن التعبير الحر الطليق هابطة المستوى في مجموعها من حيث الاسلوب في حين ان الثانية حاولت بالفعل ان تتحرر من هذه القيود ، وتكتسب من اليزان الادبى ما جعلها تحسن استخدام هذه الزينة او القيود حين تريد استخدامها على سبيل اظهار المقدرة الفنية — كما كان الشأن مع اديب اسحاق من رجال المدرسة الثانية بنوع خاص .

والحق ان من يطلع على كتابات اديب اسحاق لتروعه تلك الاساليب العالية التى كتب بها في الصحف المصرية او اللبنانية .

« ومصدر الجمال في اسلوب اديب اسحاق اشياء كثيرة منها : سرعة الانفعال عند هذا الشاب ، مما جعل اسلوبه ادنى الى طبيعة الشعر منها الى طبيعة النثر . ومنها تلوين الكلام عنده بالحسنات اللفظية والمعنوية ، مع قدرة ظاهرة على هذا التلوين في غير تكلف ممقوت ولا صناعة مرذولة ، ثم منها الثقافة زودته بعمان كثيرة ، وجعلت الفرق بينه وبين رجل كمحمد عبده كبيرا . وباختصار نرى ان اسلوب اديب اسحاق يلذ الاديب اكثر مما يلذ الصحفي (130) .

وبقيت المدرسة الصحفية الثانية تكتب صحافتها بهذه الطريقة الادبية العالية حتى جاء الاستاذ الامام محمد عبده فأخذ يقترب شيئا فشيئا من لغة الصحف . ثم جاء عبد الله نديم واقتربه كثيرا منها ، وساعده على ذلك ميله الطبيعى اليها واهتمامه بالاسلوب الخطابى

الذى برع فيه براعة منقطعة النظر والاسلوب الخطابى ادنى بطبيعته الى الاسلوب الصحفى منه الى الاسلوب الادبى (131) .

والى ذلك الوقت كانت الصحف دورية ، بمعنى انها تصدر مرة في كل اسبوع او اسبوعين او شهر او شهرين ، غير انه منذ ظهور (المؤيد) او قبل ذلك بوقت قليل جدا اصبحت الصحف يومية . وغدت الصحيفة تنتظر كل يوم غداء جديدا في وقت معين ، وعلى نمط معين ، وكان لهذه الحالة الجديدة اثر بالغ في تطور اللغة التى تستخدم في كتابة الصحف ، فاصبحت لغة المدرسة الصحفية الثالثة لا مجال فيها للاناقة الفنية التى توخاها الرعيل الثانى من رجال الصحف .

ولا مجال فيها للزخرف الفنى الذى امتازت به اساليب تلك الطبقة الثانية من طبقات الصحافة ، وهكذا شرع الاسلوب الصحفى يتعد قليلا قليلا عن مجال التعبيرات الادبية ويقترب شيئا فشيئا من مجال التعبيرات الصحفية .

ولم يكد ينتهى القرن التاسع عشر حتى اصبح للصحافة في مصر لغة خاصة بها ، وكان ذلك على يد الطبقة الثالثة او المدرسة الاخيرة من مدارس الصحافة المصرية في القرن الماضى واوائل القرن الحالى ، وهى المدرسة التى بدأت بالسييد على يوسف صاحب المؤيد (132) .

وقد احاطت بهذه المدرسة ظروف سياسية خطيرة لا شك ان من اهمها ظرف « الاحتلال البريطانى » الذى خلق في نفوس المصريين اليأس مرة ، وغرس في نفوسهم روح المقاومة الفنية مائة مرة . وكان من اثر هذا ان نشطت العقول والاقلام في مصر ، واحتاج الامر الى ظهور طبقة جديدة من الكتاب اصبح لها اسلوب جديد يصح ان يطلق عليه اسم « الاسلوب السياسى » وكان يمثل هذه الطبقة الاخيرة فيما عدا السيد على يوسف صاحب المؤيد ، ومصطفى كامل صاحب اللواء ، واحمد لطفي السيد محرر الجريدة وامين الرافعى صاحب الاخبار ، وعبد القادر حمزة صاحب

(129) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 118 .

(130) حمزة : « ادب المقالة الصحفية » — مصر ج : 2 — ص : 25 .

(131) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 120 .

(132) المرجع السابق — ص : 121 .

البلاغ ، ومحمد حسين هيكل محرر السيلستين اليومية والاسبوعية .

وكما كانت هذه المدرسة الصحفية الثالثة جديدة في الاسلوب السيلسي ، فكذا كانت جديدة في التفكير السيلسي .

وهذه المدرسة الحديثة ، هي التي ارسى اسس اللغة الاعلامية المعاصرة من ترسل وبساطة ووضوح وحرية التعبير القائم على التعتيل الصحيح .

ومعنى هذا ان حركة الفصل بين الاسلوبين الادبي والصحفي انما بدأت بصاحب المؤيد . ثم كان لكل واحد من اولئك الصحفيين الذين اشرنا اليهم شخصيته التي يستقل بها عن تلاميذ هذه المدرسة . وقد كان هذا الاستقلال في ذاته خطوة من خطوات الانتقال من الاساليب ذات الطابع الادبي الى الاساليب ذات الطابع الصحفي . او بعبارة اخرى كان كل واحد من هؤلاء يقطع بقلبه مرحلة جديدة في طريق الفصل النهائي بين الاساليب الادبية والاساليب الصحفية . ولذا كان لكل منهم اسلوب معين يمتاز به عن سواه من كتاب المدرسة التي ينتمى اليها .

- فعلى يوسف عرف بالاسلوب الحماسي (133) .
- ومصطفى كامل عرف بالاسلوب الحماسي (134)
- واحمد لطفى السيد عرف بالاسلوب الثقافي (135)
- وامين الرفاعي عرف بالاسلوب الدفاعي (136) .
- وعباس العقاد عرف بالاسلوب النزالي (137) .
- ومحمد حسين هيكل عرف بالاسلوب الموضوعي (138) .

وفي رأينا ان الدكتور هيكل قد اكد اللمسات النهائية للغة الاعلام المريى المعاصر ، فهو في « ثورة

الادب » (139) ينص على وجوب انتقان اللغة لامكان اختيار اللفظ الذي يصلح للتعبير عن المقصد تعبيراً دقيقاً وموسيقياً معاً . كذلك كان هيكل يرى ان دراسة اللغة لا تتصل بالادب لذاته الا من حيث هي كسواء الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً تطور صفة الأزياء باقدار الناس في الحياة : وصلة الأزياء بالاقدر تتلاشى رويداً بما تنزع طبقات الجماعة كلها نحوه من البساطة في اللباس ببساطة يمتاز فيها الذوق على قيمة الثياب ، حتى لنرى اكثرها اخذا للنظر اشدها غنية من الحياة ودقائقها . كذلك تطورت لفـ الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً عن المعاني والصور التي يعبر عنها معاوناً على زيادة ما في هذه الصور والمعاني من حياة وموسيقى . هذه لغة الشفافة المضيئة السليمة التي لا تحجب عنك جمالا مما اراد الاديب اثناء تدفقه واندفاعه ، في تفكيره او تصويره او تفانيه وشده ، هي التي تعتبر للادب كسواء وتتصل بالادب في كسائها اياه ، حتى لتصبح جزءاً من رحيق الحياة الذي يعبر عنه الادب . وهي كلما لطفت وازدادت ببساطة ، وشففت بذلك عن كل ما اراد الاديب ان يحملها اياه وكانت في ذلك النغمات الصادرة عن نفس الاديب الصائفة العبارة عنه ، كانت الصق بالادب في العصر الذي صدر هذا الادب عنه (140) .

ومعنى هذا ان اللغة في نظر هيكل وسيلة حية تخضع للتطور ، ولهذا سنجد هيكل يذهب في تجديد اللغة مدى بعيداً ، ومن ذلك ما يذكره في مقال بعنوان : « اللغة والاسلوب » (141) .

عن اناطول فرانس حين سئل في رايه عن لغة كبار الكتاب والشعراء امثال شكسبير ومولير ، فقال : انها لا تخلو من الخطأ حتى فيما يتعلق بقواعد النحو

- (133) حمزة : « ادب المقالة » - ج : 4 .
- (134) حمزة : « ادب المقالة » - ج : 4 .
- (135) حمزة : « ادب المقالة » - ج : 5 .
- (136) حمزة : « ادب المقالة » - ج : 6 .
- (137) حمزة : « ادب المقالة » - ج : 7 .
- (138) شرف : « عباس العقاد صحفياً » .
- (139) شرف : « الفن الصحفي عند الدكتور هيكل » .
- (140) ص : 37 - 38 ايضا المرجع السابق - ص : 43 .
- (141) شرف : « الفن الصحفي عند الدكتور محمد حسين هيكل » - ص : 431 .

موضع الجمال لا اللباس الذي يكسوها . وبمقدار ما يعبر الزى عن الحياة يكون اشد للنظر استرعاء واقوى عن جمال الحياة تعبيرا . وكبساطة الناس في اللباس بساطتهم في الطعام . لم تبق الالوان الكثيرة الشديدة الدسامة محل اللذة والرغبة بل صارت الالوان التى تلائم الصحة وتتفق معها وتعاون عليها هى التى يميل الناس الى اتقان صنعها لتجمع لهم بين حسن الغذاء ولذته . كذلك اصبح الترف ذاته ينزع الى البساطة والصحة . واذن فالحياة الانسانية قد صارت من الزى والطعام والترف كما اصبحت من مظاهرها العقلية والفنية تريد ان تكون هى الظاهرة القومية القوية لا يخفيها اللباس بل ينم عنها ولا يتخفيها الطعام بل يقويها، ولا تغص بالترف بل تنعم به . كذلك تريد الا يتقل اللفظ على روح الكاتب ، والا تجهد التقاليد بريئة الفنان وان تصبح الذاتية الانسانية حرة متوثبة دائمة الابداع والسعى فى ابداعها الى التحكم فى كل ما فى الكون وجعله بعض متاع الحياة لكل فرد من الناس ، متاع اساسه البساطة والصحة (143) .

ويبين من نظرات هيكل تلك فى تجديد اللغة ، انها تذهب بالاسلوب الى ان يستبد بلاغته الحقيقية من الواقع ومن الحياة العامة ، لان بلاغة الاسلوب الصحفى ترجع الى انه يخاطب الوف الالوف من القراء . ولا بد لهؤلاء جميعا ان يفهموه جيدا . وفى ذلك يقول الصحفى الانجليزى المشهور ديفو كلمته التى نذكرها دائما فى هذا المجال ، وهى قوله : انه الاسلوب الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما فى قواهم العقلية — فيما عدا البلسه والمجانين — فانهم يفهمون ما اقول (144) .

فالواقعية اذن فضلا عن كونها صفة من صفات الاسلوب الصحفى ، فانها كذلك مصدر من مصادر القوة والبلاغة فى هذا الاسلوب . ذلك ان براعة المحرر الصحفى هى فى ان يجعل من القارئ شاهدا من شهود الحادث ، وشريكا له فى الحكم على القضية السياسية او الاجتماعية او الادبية التى يعرضها فى الصحيفة (145) .

والصرف . وضرب على ذلك بعض الامثال ثم اضاف : وخطأ هؤلاء النوابغ هو بعض حسن الخطأ الذى يصيب اللغات لان ذلك الخطأ كثيرا ما ينشأ عنه تطور صالح فى قاعدة من القواعد ما كان ليقع لو ظل الكتاب المتحذلقون فى قواعد النحو والصرف هم وحدهم المسيطرين على اللغة ، بل ان هؤلاء ليغلون اقدامهم بأغلال الحديد فيحولون بينها وبين مجارة الحياة فى نموها وتطورها ، ويوافق هيكل هذا الراى الذى قال به اناطول فرانس « تمام الموافقة — كما يقول — بل انى لارى فى بعض الاحايين خطأ لغويا سواء فى اداء اللفظ او فى صرف اللفظ ونحو العبارة ، لكنى استطيع هذا الخطأ فأود لو نتاح له الحياة وتيسر عليه القاعدة خطأ مشهور خير من صواب مهجور . ثم تسبغ الايام على هذا الخطأ من القداسة فيصبح وهو القاعدة التى قال بها سيويه » .

ويلاحظ فى هذه الآراء حول اللغة انها تقترب باللغة من النثر العملى كما يذهب بعض اساتذة الادب العربى الحديث (142) للتمييز بين لغة الصحافة وبين النثر الفنى والنثر العملى يعتبر اصطلاحا لمسيرة لغة الصحافة للحياة العملية بما يجب ان يتوفر فيها من عوامل اهمها فى عصرنا الحديث السرعة .

ومن اجل ذلك وجدنا هيكل فى دعوته لتجديد اللغة يقارن بين ازياء العصور الماضية وازياء الحياة الحاضرة ومختلف مظاهرها ، فالحياة الانسانية اليوم تنتزع الى البساطة والى الصحة والى حكم الانسان حياة الوجود بكل ما تمكنه قواه ومواهبه ، والى ظهور الذاتية الانسانية خلال ذلك كله ظهورا قويا واضحا .

فلم يبق شخص الانسان كومة من النسيج النفيس تزينها الاثربة والدينتلات وتحملها الاحذية المرصعة، وتكسو اعلاها شعور مستعارة ، وتطل من خلالها صورة وجه انسانى مختلف تحت الالوان ، بل اصبح اللباس من البساطة بحيث يتم عن خطوط الجسم وحركاته ويشف عن الحياة الانسانية حتى لقد كاد يصح بعضها ، وصارت الحياة الانسانية كذلك هى

(142) حيزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 18 — محمود فهمى : « الفن الصحفى » — ص : 77 .

(143) هيكل : « ثورة الادب » — ص : 40 .

(144) حيزة : « ادب المقالة » — ج : 8 — ص : 400

(145) نفس المرجع — ص : 401 .

وذلك ما تجده في مفهومه هيكل لتجديد اللغة وارتباطها بالواقع ، فالحياة دائمة التطور والجديد هو آخر مظاهرها . وهذا وحده هو السبب في انه جديد ، فاذا انقضى عصره وحدثت غير الحياة جديدا بعده اصبح هو قديما . وما دمت تعيش في عصر فانت متأثر حتما بحياة هذا العصر ، متأثر بالجديد الذى يحدث فيه (146) .

مستقبل الفصحى في ظل الاعلام :

ويبين مما سبق ان الصحافة قد اسهمت في التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية ، ونشأ من تقاربهما المستوى العملى الاجتماعى في اللغة ، وهو الذى يستخدم في الصحافة والاعلام بوجه عام . فأصبح لدينا ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى الجمالى ويستعمل في الادب والفن ، والثانى هو المستوى العملى النظرى التجديدى ويستعمل في العلوم ، والثالث هو المستوى العملى الاجتماعى .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع انساني والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو في تقارب المستويات اللغوية في الاول ، وتباعدها في الآخر ، فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية ، هى غالبا ازهى العصور وارتقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانقسام العقلى في المجتمع . وهذا يؤدي الى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال (147) .

ويبين مما تقدم جميعا ، ان اللغة العربية ، قد تطلعت هذا الشوط نحو التقارب بين مستويات التعبير عن طريق الصحافة ، ومن جهة اخرى فقد حقق التطور

السياسى والاجتماعى في المجتمع العربى الحديث قدرا من تزويب الفوارق بين الطبقات ، ومن اشتراك طوائف المواطنين في ممارسة الشؤون العامة والنقاش فيها وفي قيادة الهيئات وادارة المؤسسات ، واصبح من الطبيعى ان تضم دور النيابة والمجالس الشعبية وغيرها اعضاء من جماهير الشعب من الفلاحين والعمال واصحاب الحرف الى جانب العلماء ورجال الثقافة من المواطنين ، ولم يعد من المستساغ في نظام الوحدة ان يختلف لسان التعبير من طائفة الى اخرى في خصائصه الجوهرية (148) .

واذا كان للغة الصحيحة الموحدة ، شأنها في كل قطر من اقطار العالم العربى الحديث فان نمو الوعى بالقومية في الوطن العربى الاكبر قد اصبح يفرض على العرب جميعا عناية اكبر بلغتهم الفصحى في جميع وسائل الاعلام من صحافة الى اذاعة وتلفاز لتحقيق ذلك التقارب المنشود بين العربية الفصحى ولهجاتها ، من جهة ، وبين مستويات التعبير المختلفة من جهة اخرى . وتجعل من اقطار وطننا الكبير وحدة فكرية ومزاجية ، تنتقل بها وسائل الاعلام من ساحل الخليج ووادي الرافدين الى ساحل الاطلس ، ومن اعالي الفرات في قلب آسيا الى بوادي دارفور وكردفان في قلب افريقية ، ولبناء قوميتها .

ولا شك ان اللغة العربية الصحيحة قد كسبت — من هذا التطور العربى القومى — مزيدا من النفوذ في الاتصال الجماهيرى ، محليا وعالميا ، واصبح لها مكانها كلفة عمل في بعض المنظمات الدولية ، وهذا وضع يستلزم ان تجتاز تلك اللغة الاعلامية الفصحى المعادلة الصعبة بين التراث او المعاصرة ، وان تسمى الى التقريب بين مستويات التعبير اللغوى بحيث لا تكون مقطوعة الصلة بلغة التراث ولا تكون مقطوعة الصلة بلغة العلم والحضارة .

وتشير الابحاث التى اجراها الدكتور ابراهيم امام في نواحي الاعلام وعلم الدلالة الى ان اللغة العربية في ميسس الحاجة الى الاثراء الفكرى ،

(146) هيكل : « ثورة الادب » — ص : 46 .

(147) « دراسات في الفن الصحفى » و « العلامات العامة » و « والمجتمع والاعلام و «الاتصال بالجماهير» ايضا .

(148) خلف الله : « بحوث ودراسات » — ص : 183 Language of journalism

الرافعى والزيات واحمد امين وزكي مبارك وغيرهم ، وقد امتازت « الرسالة » من بين هذه المجلات بسعة انتشارها في العالم العربى ، وبلتها كانت شبه مدرسة تخرج فيها كثير من الباحثين والكتاب في البلاد العربية.

على ان الصحافة اليومية قامت - ولا تزال تقوم في مصر وغيرها من اقطار الوطن العربى - بنصيب كبير في تنشيط الثقافة الادبية واللغوية بما كانت تخصصه من صفحاتها لنشر قصائد الشعراء الكبار في المناسبات والاحداث القومية الهامة ، ونشر الاعمال القصصية والمقالات النقدية .

وقد تطور التحرير الصحفى في الوطن العربى تطورا كبيرا وبرز في ميذانه منذ اوائل هذا القرن كتاب نابهون واسعوا الثقافة، ارتفعت اساليب الكثيرين منهم الى مستوى عال من البيان ، واثر بعضهم في اساليب الناشئين من الكتاب تأثيرا ملحوظا (149) .

كما ان الاذاعة والتلفزة باستخدامها العربية تقدم للشعب ثروة لغوية ترفع من مستواه الثقافى والادبى كما انها تعمل على توحيد الامة العربية . فالاذاعة التونسية مثلا تقوم بخدمة مزدوجة .

فانها باستعمالها اللغة « العربية » وهى التى يستعملها الاستاذ عبد العزيز العروى ترفع من مستوى التونسية الدارجة وتقربها من الفصحى البسيطة وهذه خدمة تستحق التقدير . ثم ان اذاعة المحاضرات والابحار بالفصحى يعود السامعين على تفهم لغتهم القومية الرفيعة ويساعد على انتشارها (150) .

وقد اسهمت الاذاعات العربية على اختلاف محطاتها ومصادرنا في نشر الفصحى وتمكينها في النفوس مكملة عمل الصحف ، بل ان تأثير هذه اوسع لوجودها في كل دار يستمع اليها الذكور والامات ، والصفار والكبار كل يوم اكثر من مرة . واكثر اذاعتها بلغة سليمة في الجملة ، وبعضها القليل يسبو بالسلمين الى مستوى رفيع على حين كان بعضها ينحط بضعف لغته او لحسن تلاوته . لكن آثارها في الجملة واسمة في خدمة اللغة العربية .

وقد لمس ذلك المعلمون الابتدائيون ، فقد انخفض

والتقارب في المستويات المختلفة ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق استعمال اللغة في ميادين العلم الحديث ، وخاصة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الحديثة . ويذهب الدكتور امام الى اننا لا ينبغي ان ننتظر حتى تتقن المصطلحات ، فلا يكفى ان نبقى بمعزل عن الحضارة الحديثة . وما لم نستعمل لغتنا في هذه الميادين فاننا نحكم على انفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهان لشيء واحد كالعملة تماما . ولكى تسير اللغة العربية الحضارة الحديثة لا بد وان تعبر عن الفكر الحديث وهى قادرة على ذلك، وانها تعانى من عدم الاستعمال .

وان وسائل الاعلام هي من افضل الوسائل لانتشار اللغة العربية والربط بين رجال الفكر من جهة وبين الجماهير في العالم العربى من جهة اخرى وقد اسهمت الصحف منذ نشأتها في اثراء اللغة العربية ونشرها ، وكان منها ما اتخذ منه بعض المفكرين اداة لدعواتهم الإصلاحية كصحيفة «الجريدة» التى دعا رئيس تحريرها - احمد لطفى السيد في مطلع القرن الحاضر لتطويع اللغة الفصيحة والتقريب بينها وبين لسان التخاطب باصطناع اسلوب ميسر للكتابة بها للجماهير ، ومنها ما حصلت بالبحوث العلمية في شتى المعارف ومنها اللغة والادب كمجلتى « المتكف » و « الهلال » اللتين سجلت مجلداتهما المحاولتين الاوليين في انشاء المجمع اللغوى بالقاهرة ومباحث «لبنوات العلمية التى بحثت شؤون اللغة والادب ، كندوة « دار العلوم » التى عقدت عام 1908 وناقش فيها طائفة من كبار الاساتذة والمفكرين مشكلات الفصحى والعلمية وموقف العصر الحديث من التطور اللغوى ، ووضع اسماء للمسميات الحديثة وغيرها من المسائل .

ومن تلك الصحف ما كان مجالا لمجلات ادبية ولغوية كان المثقفون والشباب بوجه خاص يتابعونها في شغف واهتمام « كالسلسلة الاسبوعية » ومجلتى : « الرسالة » و « الثقافة » لما كان يثار على صفحاتها من معارك ادبية يشترك فيها قادة الفكر واعلام الكتابة من امثال طه حسين وهيكى والمزنى والمقاد ومصطفى صادق

(149) المرجع السابق .

(150) مجلة « اللسان العربى » - العدد السادس - 1388 هـ - ص : 28 .

عناؤهم في افهام طلابهم معاني النصوص لمبادرة اذهانهم الى المصنوع ، وذلك دون شك من فضل العناية بلغة الاذاعة (151) .

وتلخيصا على ذلك يمكن القول ان الاعلام قد اسهم في تعميم العربية الفصحى لغة جملة مشتركة يقرؤها اليوم ويكتبها ويستمع اليها نحو ثمانون مليوناً من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي . يصفى الكويتي في اقصى الشرق العربي الى اذاعة الرباط في اقصى المغرب كما يصفى الى اذاعة الكويت نفسها ، ويفهم الرباطي المغربي اذاعة الكويت المشرقية منه لاداعته المغربية .

بل ان المسلم الصيني المتعلم او التجارى ليدخل المغرب العربي فيفهم عن علماته ويفهمون عنه بهذه العربية الفصحى التي اتسع انتشارها منذ ثلاثة عشر قرناً فكانت الى اليوم اقرب الى اللغة العالمية .

اذا كان الاعلام قد حسم - ولا يزال يحسم - مشكلة الازدواج اللغوي ، لصالح اللغة المشتركة الفصحى ، فان هناك من يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، ويؤمنون بتصوير الحروف العربية في الاداء ، ويذهب سعيد شهاب الدين (152) ان اللغة الفرنسية مثلا لا تملك الا 26 حرفاً للتعبير عن 36 صوتاً ، فلا انطباق اذا بين الصوت والرمز . ويقول غاليشي ان الاملاء الفرنسي صعب جدا ويكاد يكون اصعب بكثير من غيره (153) . وغرض لادعائهم ان الكتابة العربية ليست عملية اقتصادية ، مبنية العكس ، فكل كلمة عربية اذا كتبت باللاتينية احتاجت الى ضعف عدد حروفها العربية ، وينتهي الى قوله :

« ولا نقول ادعاء اذا اعلنا ان اللغة العربية بحروفها هي الاولى في العالم التي تجرى بسهولة في كتابة الصحف والمجلات والنشرات اليومية والاسبوعية فهي اكثر اختصاراً من غيرها واوفر اقتصاداً في الوقت والمال والنظر والكتابة ، وفي سهولة التبادل التجارى والفكرى وغيره . وهي تؤدي النتائج

احسن بكثير من لغات العالم . وذلك ان الكتابة الشائعة الاستعمال هي كتابة غير مشكلة ، اي غير متقيدة بحركات ، وان القراءة تتجهد لان تصبح في اكثر الحالات قراءة صامتة .. وهكذا يتضح ان دعاء العملية و « اللاتينية » يريدون ان يعقدوا المسألة ، ودعوتهم تقهقرية لانها لا تراعى رغبة الاقتصاد والسهولة في الكتابة التي يتجه اليها العالم اليوم في جميع وسائل الاتصال الجماهيري .

وعند البحث الرصين تشهد للابجدية العربية بانها اصلح من سواها لكتابة جميع اللغات وسيما في لغة الاعلام الحديث الذي يتجه الى الاقتصاد في الحرف واللفظ والتعبير .

ولم يعد خافياً حتى على الاجانب المهتمين بشؤون الثقافة العربية ان قواعد اللغة من اسهل القواعد كتابة ولفظاً ونحواً ومزجاً .

اما كتابتها فتصوير مطابق للفظ الى ابعد الحدود ، مبدؤها وحركاتها القصيرة حين يخوج الامر الى تصوير الحركات اكسابها ايجازاً في الكتابة واقتصاداً في وقت القراءة ، فما كتبه بالحرف العربي اذا كتبه بالحرف اللاتيني يشغل مثل حيزه العربي ، ثم انت مضطر الى الابطاء في القراءة فيها حتى يستوعب نظرك الحروف ، وليس في الكتابة العربية حروف مركبة لاداء صوت فمرد بل كل حرف يصور صوتاً ولكل صوت حرف خاص ، وليس فيها حروف ترسم ولا تقرا كما نعهد في اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية (154) .

وتظل اللغة العربية بعد ذلك اوفر عدداً في اصوات المخارج التي لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها ، فليس هناك مخرج صوتي واحد ناقص في الحروف العربية ، وانما تعتمد هذه اللغة على تقسيم الحروف على حسب وقعها من اجهزة النطق ، ولا تحتاج الى تقسيمها باختلاف الضغط على المخرج الواحد ، كما يحدث في الباء الخفيفة والباء الثقيلة التي يميزونها بثلاث نقط من تحتها بدلا من النقطة الواحدة ، او كما يحدث في الفاء ذات النقطة الواحدة والفاء ذات

(151) سعيد الانغلي : « حاضر اللغة العربية » - ص : 150 .

(152) « دعاء العملية » - ص : 20 .

(153) سعيد الانغلي : « حاضر اللغة العربية في السلم » - ص : 196 .

(154) المعتاد : « اللغة الشاعرة » - ص : 9 .

فاذا اضفت الى ما تقدم ، ما توفر في الفصحى من جميع صفات اللغة المشتركة الشاملة في كل العصور، تميزها من كل اللهجات المحلية بمستوى لغوى راق ، واستقرارها على قواعد لا تسمح لها بالتغيير والتطور الا في القليل من الاحيان وبعد اجيال من الاستعمال حتى اتخذها الناس في جميع العصور مقياسا لحسن القول واجادة الكلام ، وانها على طول العصور كانت اللغة المشتركة الوحيدة التي تفاهم بها ابناء العرب والمتعلمون من غير العرب بين الصين والمحيط الاطلسي في العالم القديم كله ، وزاد اليوم المتفاهمون بها بسبب انتشار التعليم ووسائل الاعلام ، وربما لم يبق على سطح الارض اليوم عربى لا يفهمها ولو كان اميا . وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو الى استخدام الاذاعة والتلفاز للهجات المحلية في برامجها ونشراتها، وقد سلمنا جميعا بأن احدا من الاميين في البلاد العربية لا يفوته فهم شئ من الاخبار المذاعة بالفصحى مهما جيدا .

ان وسائل الاعلام جميعا مدرسة عملية فعالة سريعة الثمرات ، فعلى ان نستخدمها طريقا حقيقيا لتحقيق وحدتنا اللغوية .

ويتسم هذا الطريق بستين ، اولاهما : تعميق الايمان بمستقبل الفصحى وضرورة تعميمها حتى تصبح قريبا لغة حياة الى جانب كونها لغة فكر وثقافة ، والثانية : التخطيط والتنفيذ لبلوغ هذا الهدف ، واستخدام الاعلام مجالا لتعميم هذه الفصحى في جميع مجالات الحياة .

النقط الثلاث او كما يحدث في الجيم المعطشة وغيرها. ذلك ما نعينه باللغة الاعلامية في تقسيم حروفها ، فهي لغة انسانية ناطقة تستخدم جهاز النطق الحى احسن استخدام يؤدي الغرض المنشود في اقتصاد شديد ، وليس هنا اداة صوتية ناقصة تحسن بها لاجدية العربية .

اما النحو فقد دخل عرض قواعده من التسهيل في التأليف ما جعله ميسور الفهم خفيف العناء بحيث انحصرت في الكلمات المعربة اسماء وافعالا ، والخلاصات الاعرابية التي نجدها في بعض الكتب الحديثة لا تبلغ الصفحة (155) .

والصرف لا صعوبة في قواعده الاشتقاقية المطردة الحية في اللهجات العامية كلها ، ولا سيما في الاسماء ، فأوزان اسم الفاعل واسم المفعول والصفة واسم التفضيل واسماء الآلة هي في العامية والفصحى (156). وصفوة القول ، ان الصحافة والاذاعة واجهزة الاعلام الاخرى وما اليها ، كل ذلك عمل عمله في تمكين الفصحى في اسماع غير المتعلمين حتى الفوها ، وحتى ارتقت لغتهم من حيث لا يشعرون ، وحتى ضاقت الشقة جدا بين الفصحى والعامية ، وبين مستويات التعبير المختلفة ، وحتى يستمر الاعلام في تحقيق هذا الغرض النبيل ، لتبقى اللغة العربية لغة حياة تتسع للفكر والعلم والفن والتشريع ، ولذلك فيجب ان تكون اللغة العربية هي اللغة المشتركة في الحياة والمجتمع وفي جميع وسائل الاعلام مقروءة ومرئية ومسموعة في كل البلاد الناطقة بالعربية .

(155) سعيد الانغاني : « حاضر اللغة » - ص : 196 .

(156) ابراهيم انيس : « محاضرات عن مستقبل اللغة العربية » في صدد كلامه على اللغة الانجليزية المشتركة التي استمدت معظم صفاتها عن لهجة الطبقة الارستقراطية ..

الجمهورية العراقية

تعزز مكتب تنسيق التعريب بتبرعات كريمة

الحالد بالاضافة الى المؤلفات الحديثة في مختلف العلوم والفنون والادب والشعر للمؤلفين العراقيين وغيرهم من مؤلفي الاقطار العربية الشقيقة . وكثير من هذه المؤلفات من النوع الذى يعجز أصحابه عن تكبد نفقات طبعه ونشره بحيث انها ما كانت لترى النور لو لم تضطلع الوزارة المحترمة بطبعها ونشرها .

كذلك تبرعت جهات عراقية أخرى بمطبوعاتها ومجلاتها وهى وزارة التربية ووزارة التعليم العالى والجامعات العراقية والمجمع العلمى العراقى ، فجا افة هذه المبادرات النبيلة ووقفنا جميعا لخدمة أمتنا المجيدة . وهذا المكتب يهيب بهذه المناسبة بجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية والجامعات والمعاهد والافراد فى الوطن العربى أن يتكرموا بالمؤازرة فى هذا الباب تضامرا منا جميعا لاداء واجبنا المروبوى المقدس .

تفضلت وزارة الاعلام للجمهورية العراقية بالتبرع بمبلغ 3000 (ثلاثة آلاف) دينار عراقى من اجل طبع نسخ اضافية من مجلة «اللسان العربى» توزع مجانا على القراء فى الوطن العربى . والمكتب يعلن عن عمق امتنانه وبالغ تقديره لهذه الروح العالية .

وتذكر المجلة لقراءها أن لمكتب تنسيق التعريب مكتبة عامة باسم «المكتبة العلمية» فى بناية مستقلة خارج مقر المكتب ، مفتوحة للجمهور لاطلاع قرائها على نفائس التاج الفكرى العربى تعزيزا لمكانة اللغة العربية واستفادة من روائعها واظهارا لمزاياها وقابلياتها قديما وحديثا وهى التى قادت الفكر الحضارى البشرى وحدهما قرونا عديدة .

فى هذا المجال أيضا تبرعت وزارة الاعلام العراقية الموقرة بنفائس مطبوعاتها من كتب التراث العربى